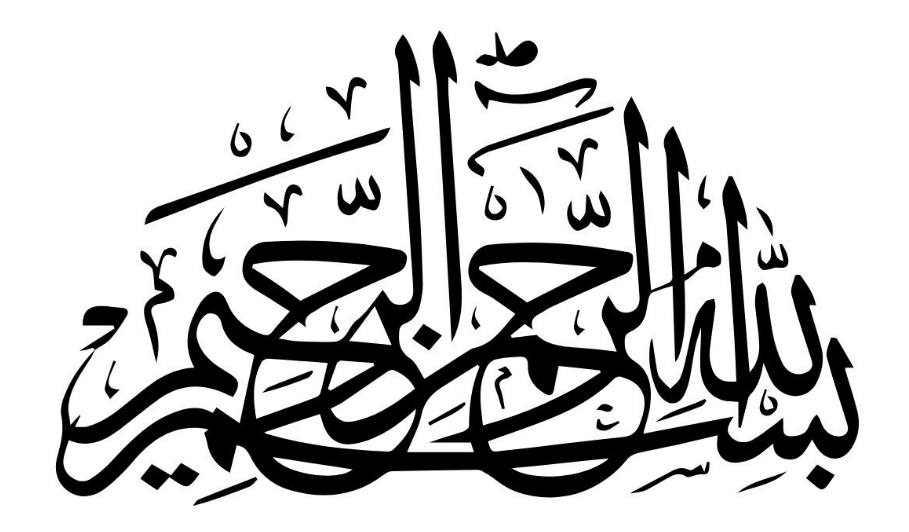
الوهفة في شرح

دعاء عرفة

السيّد حسين حسن محمد جواد بدر الدين



مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد صلى الله عليه واله، والصلاة والسلام على حجة الله في ارضه بقية الله الأعظم روحي وارواح المؤمنين لتراب مقدمه الفداء.

إن أفضل ما يقوم به المكلف بعد أدائه لواجباته وامتناعه عن محارم الله تعالى هو التبليغ الديني ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام، وبثّ فضائلهم وأخلاقياتهم وسلوكياتهم الحقّة في الآفاق ليستضيئ بنورها كل سامع، وراج للفوز برضا الله جل وعلا.

وإن دعاء عرفة وهو من أعظم الأدعية عند الإمامية وهو منسوب إلى الإمام الحسين (ع) في يوم عرفة وقد أحببت ان أسبر غوره محاولاً توضيح ما أقدر على توضيحه بعد الإطلاع على أقوال العلماء الأفاضل فيه وفي عباراته العظيمة الجليلة،

فأســأل الله تعالى أن يوفقني بذلك لخدمة الإســلام ومذهب الحق ويشرح صدري ويَحلل عقدة من لساني إنه سميع الدعاء.

وهو الدعـاء الذي قرأه (ع) يوم التـاســـع من ذي الحجـة على صـعيد عرفات، ثم واظَب الشـيعة على قراءته يوم عرفة سـواءً كانوا في صحراء عرفة أو في أرجاء المعمورة.

ويمكن الإشارة إلى أن هذا الدعاء يتضمن تعاليم معرفية وعقائدية عالية فيها دلالة واضحة على مقام المعصوم المتلفّظ بهذه العبارات السامية الغارقة في التوحيد والعبودية والتخشّع والتذلّل وإبداع تصويره هذه المعاني الجليلة للسامع والقارئ، وفيها دلالة على عَظمة هذا اليوم الشريف يوم عرفة وضرورة التعبّد به والتقرّب إلى الله لنيل رضاه، كما وأن هذا الدعاء يحتوي على عبائر تُفيد في طريق تحصيل معرفة الله عز وجلّ وبيان صفاته، والتذكير بأنعم الله اللامتناهية للإنسان والحمد لله والثناء عليه، والتضرّع لله والإقرار بالذنوب وطلب التوبة والتماس الحوائج والأجر.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضــع الى مولاي الغريب ســيّد الشــهداء الإمام الحسين عليه السلام (عَبرة كل مؤمن ومؤمنة) عسى الله ان يمنّ عليّ ببركاته بنظرةٍ في المحشــر ويتفضّــل عليّ وعلى والديّ ووُلدي وأجدادي المنسيين.

وإلى أرواح العلماء والشــهداء وأمواتنا نهدي الفاتحة مع الصلوات على محمد وآله.

الإثنين (2025/04/14 المـــــوافــق 15 شوال 1446 هـ)

خادم خدّام الحسين (إن شاء الله تعالى) السيّد حسين حسن بدر الدين

ذكر رضـــيّ الدين علي بن طاووس (رض) في كتاب مصـــباح الزائر قال: روى بشر وبشير الأسديان أن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) خرج عشـــية عرفة يومئذ من فســـطاطه متذللاً خاشـعاً فجعل يمشـي هوناً هوناً حتى وقف هو وجماعة من أهل بيته وولده ومواليه في ميســـرة الجبل مســـتقبل البيت الحرام ثم رفع يديه تلقاء وجهه كإستطعام المسكين ثم بدأ بالدعاء قائلاً:

"اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي لَيْسَ لِقَضآئِهِ دافِعٌ، وَلا لِعَطائِهِ مانِعٌ، وَلا كَصُنْعِهِ صُنْعُ صانِع، وَهُوَ الْجَوادُ الْواسِعُ، فَطَرَ أَجْناسَ الْبَدائعِ، وأَتْقَنَ بِحِكْمَتِهِ الصَّنائعَ، لا تَخْفى عَلَيْهِ الطَّلائعُ، وَلا تَضيعُ عِنْدَهُ الْوَدائعُ، أتْى بِالْكِتابِ الجَامِعْ، وبِشْرعِ الإسْلام النُور السْاطِع، وَهْوَ للخْلِيفةِ صَانع، وَهْوَ المُسْتعَانِ عَلْى الفْجَائع، جازِي كُلِّ صانِع، وَرائِشُ كُلِّ قانع، وَراحِمُ كُلِّ ضارِع، وَمُنْزِلُ الْمَنافعِ وَالْكِتابِ الْجامِعِ، بِالنُّورِ السّاطِعِ، وَهُوَ لِلدَّعَواتِ سامِعٌ، وَلِلدَّرَجاتِ رافِعٌ، وَلِلْكُرُباتِ دافِعٌ، وَلِلْجَبابِرَةِ قامِعٌ، وَراحِمُ عِبْرَةَ كُلِّ ضارِع، وَدافِع ضُرعَةَ كُلِّ ضارِع، فَلا إِلهَ غَيْرُهُ، وَلا شَيءَ يَعْدِلُهُ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ، وَهُوَ السَّميعُ الْبَصيرُ، اللَّطيفُ الْخَبيرُ، وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ."

بدأ (ع) بالثناء على الله والحمد له حيث أن جملة الحمد لله هي أتمّ الحمد كما ورد في قضـية البغلة الضـائعة للإمام الباقر (ع) حيث قال : لئن ردّها الله تعالى لأحمدّنه بمحامد يرضـاها فما لبِث أن أُتيَ بها بسرجها ولجامها فلمّا استوى عليها وضمّ إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء فقال : الحمد لله، فلم يزد ثم قال : **ما تركت ولا بقيت شيئاً جعلت كل أنواع المحامد لله عز وجل فما من حمدٍ إلا هو داخل فيما قلت**[1] . فاستخدم لفظ الحمد وهو مصدرٌ أو مفعولٌ مطلق وهو حسب اللغة يفيدُ الحدث والحَدثان الذي يُستفاد منه الإستمرار والمداومة وتأكيد المعنى، حمداً على نعمة قضائه الذي لا دافع له، مع أن الروايات الشريفة تُفيد أن الدعاء مثلاً يدفع القضاء المُبرم من قبل الله تعالى، فكيف لنا أن نخرّجَ أو أن نَفهم ما نطق به المعصوم (ع) فلا بدّ إذن من توجيه بسيط، قال الصادق (ع) : **الدعاء يردّ القضاء بعد ما أبرم إبراما**[2] .

[1]. كتاب كشف الغمّة جزء 2 ص 319

[2] . بحار الأنوار – ج 9 ص 296

بيد أن القضاء يتفرّع إلى نوعين:

- قضـــاء محتّم وهذا النوع الذي لا يُردّ مثل علم الســـاعة وهو اللوحُ الثـابـتُ المُطـابق لعِلمـه وهو علمُـه بـأواخر الأمور المحتوم حصـــولها التي لا تتبدلّ، وقد يســـمّيه بعضهم القضاء المُبرم.
- قضاء معلّق أو ما يُسمّى لوح المحو والإثبات وهو الذي يقبل التبدلّ والتغيّر والزيادة والنقيصـــــة حســـب تأثير اســـتجابة الدعاء والصـــدقة حســـب ما تقتضـــيه حكمته تعالى[3].

ولكـن حَمـدُه (ع) علــى القضــاء الـذي لا رادّ لــه ولا دافـع لــه غيـر متشـخّص الفهـم مـن ناحيـة المصـاديق عنـدي فقـد يكـون علــم الســاعة وإخبــارات الأنبيــاء الحتميــة وبمــا أن حلــول الســاعة حيـث تجتمـع الخصـوم ويحكـم الله تعـالى ويُـردُّ إلــى كــل ذي حــقٍ حقّــه حيــث لا رادّ لقضــائه هنــا، وقــد يكــون حمـداً علـى نعمِـه جـل وعـلا التـي مـنّ بهـا علـى العبـاد، ولـم يحـرم العاصـي مـع تجـرّأه وطغيانـه فـلا يـدفعها ويردّهـا عنـه

[3]. مستفاد من الإحتجاج للطبرسي ج 2 ص 179.

ويحــرم عبــده منهــا جــرّاء عصــيانه، والجملــة اللاحقــة قــد تصــلح كمؤيــد لهــذا الــرأي (ولا لعطائــه مــانع)، وحَمــده علــى عطائـــه الـــذي لا مـــانع لـــه وذلـــك مـــن فيوضـــات رحمتـــه وتفضّــله، ولــو اجتمــع مــن فــي الأرض جميعــاً علــى دفعــه أو منعـــه مـــا قـــدروا علـــى ذلـــك، وحَمـــده علـــى حُســـن صُـــنعه الصــنائع الجميلــة الجليلــة مــن الــنعم و مــن بــدائع المخلوقــات، وأردف ان الله هـــو الجـــواد أي المُعطـــي دون مقابـــل (عكـــس الكــريم الــذي يُعطــي مــع أمــل المُقابــل، وفــي تفســير آخــر للراغـــب[4] أن الجـــود يكـــون بالمقتنيـــات والكـــرم هـــو بـــالأخلاق والأفعـــال المحمـــودة أو إيثـــار الغيـــر بـــالخير، وفـــي تفســير آخــر أن الجــواد هــو الــذي يُعطــي مــع الســؤال يعنــي حــين تســأله علــى عكــس الكــريم وهــو الــذي يُعطــي مــن غيــر ســؤال وهــو الحــق لمــا ورد فــي أدعيــة الصــحيفة الســجادية **"وأنـــت الجـــواد الكـــريم"** ترقّيــاً فــي الصــفات مــن الأدنــى للأعلــى[5])، والواســعُ الرحمــة والمغفــرة والفــيض والإنعــام علــى الخلــق، فَطــر أي خلــق الأجنــاس من كــل المخلوقــات

(4). المفردات ص 103 – الراغب الأصفهاني

(5). الفروق اللغوية – ابو هلال العسكري – ص 171

مـن بـدائع صـنعه التـي ابتـدع خلقهـا وأنشـأها مـن العـدم، **(وأتقـن الصـنايع بحكمتـه)** والصـنيعة هـي اليـد والمعـروف والفضـل حيـث أعطـى كـل واحـد حسـب حالـه ومنـع حسـب الحـال طبقـاً لمقتضـيات حكمتـه البالغـة فـي الـرزق والمنـع، **(لا تخفـى عليـه الطلائـع)** والطليعـة هـي مـا يظهـر مـن مقدمـة الجـيش مـثلاً، وهـي اسـتخدام بلاغـيّ لِمـا يصـعُب الإطّـلاع عليـه عبّـر بـه (ع) للإشـارة إلـى معرفـة الله للبـواطن والظـواهر، والخفايـا والخبايـا، وقـد يكـون مصـطلح الطليعـة هـو خـاصٌ لدلالـة علـى الأجهـزة السـريّة الإسـتخبارية التـي تخفـى علـى النـاس،(ولا تضـيع عنـده الودائـع) والأمانـات منهـا أمانـة العلـم والإيمـان حيـث أن الله لا يُضـيع اجـر حاملهـا، أتـى بتفضّـله بالكتـاب الكـريم وشريعة الإسلام وهي الأنوار الساطعة.

(للخليفة صـانع) أي صـنع وبرأ من يتولى أمور الحكم أو الخلافة أو مطلق الخلافة الإلهية في الإنسـان وهي خلافة الأرض، وهو الذي يُسـتعان به على الفجائع والملمّات، ويتوجه اليه العبد بكلّه ليُنقذه مما ألمّ به.

(جازي كل صـــانع) بما صــنع إن خيراً فخيرٌ وثوابٌ وإن شــراً فعقوبةٌ وإذلال.

(ورائش كل قانع) الرائش هو المُعطي والباذل والمُمدّ بالرزق لكل قانعٍ وهو الراضـــي بما قُســم له فالقانع هو الذي يرفع يده ويســـأل، عكس المعترّ الذي يُظهر الرغبة ويعتريك ولكن لا يرفع يده ويسـأل، وفي تفسـير آخر للسـيد الطباطبائي في تفسير الميزان : **"أن القانع هو الذي يرضى بما تُعطيه ولا يسخط ولا يلوي شدقه غضباً، والمعترّ هو المارّ بك لتطعمه."** [6] وتفسير السيد الطباطبائي هو الأوجه والأكثر مناسبةً لسياق كلام الإمام (ع) .

(وراحم كل ضـــارع) الذي تشـــمل رحمتُه الصـــغير والكبير، والضارع هو صغير السّن أو الخاشع أو الضعيف.

(ومُنزل المنافع) التي ينتفع بها عباده **(والكتاب الجامع بالنور الساطع)** القرآن الكريم أنزله كتاباً مقدّساً لخاتمة الشرائع الإلهية العظيمة وهي الشريعة الإسلامية.

[(6)] . تفسير الميزان ج 14 ص 380 – السيد الطباطبائي

(وهو للدعوات سامع) يَسمع دعاء الداعي وإن لم يسمعه أحد، **(وللكُربات دافع)** يدفع عظائمَ الأمور، ويرفع الدرجات بالعمل الصالح، ويقمعُ الجبابرة العتاة، فلا إله غيره ولا مؤثّر غيره في الوجود ولا عِدل له وليس كمثله شيء، وهو **(السميع)** سميعُ الدعاء والمناجاة وحديث القلوب، **(البصير)** اي العليم الخبير اللطيف المُحسن بلطفه على عباده، وهو على كل شيء قدير وتطال قدرته كل شيء.

قوله (ع):

"أَللّهُمَّ إنّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ، وَأَشْـهَدُ بِالرُّبُوبِيَّةِ لَكَ، مُقِرّاً بِأَنَّكَ رَبّي، إِلَيْكَ مَرَدّي، ابْتَدَأتَني بِنِعْمَتِكَ قَبْلَ أَنْ أَكُونَ شَـيْئاً مَذكوراً، وَخَلَقْتَني مِنَ التُّرابِ، ثُمَّ اَسْكَنْتَنِي الأَصْلابَ، آمِناً لِرَيْبِ الْمَنُونِ، وَاخْتِلافِ الدُّهُورِ، فَلَمْ أَزَلْ ظاعِناً مِنْ صُلْب اِلى رَحِم، في تَقادُم مِنَ الأَيّامِ الْماضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْخالِيَةِ".

رغِب إليه أي أراده وأحبّه وفضّـله وسـأله حاجته، وابتهل وتضـرع إليه **(وإلى ربك فارغب – سـورة الشـرح اية 7)**، و**(أشـهد بالربوبية لك مقراً بأنك ربي)** وشـهِد لله بالربوبية والإذعان له تعالى، **(واليك اليك مردّي)** واستخدم التوكيد اللفظيّ لزيادة إحضار المعنى في نفس الداعي أو سمع السامع، والمردّ هو المآل والمصير والمرجع.

(ابتـدأتني بنعمـك قبـل أن أكـون شـيئاً مـذكورا) وهـو عمليـة خلقِـه وابتداعِـه مـن لا شـيء، منـةً منـهُ وفضـلاً، **(وخلقتنـي مـن التـراب)** مـن نسـل آدم عليـه السـلام المخلـوق مـن صلصـال مـن حمـأٍ مسـنون الراجـع بجـوهره إلـى التـراب، وقـد وردت روايـةٌ فـي هـذا الصـدد عـن الصـادق (ع) حيـث قـال : **إن الله خلقنـا مـن نـور عظمتـه، ثـم صـوّر خلقنـا مـن طينـة مخزونـة مكنونـة، فأسـكن ذلـك النـور فيـه فكنـا نحـن**

خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا نصيب وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة...[7]

فالأرواح المؤمنة مخلوقةٌ من النور والأبدان مخلوقةٌ من الطين الذي يُردّ إلى التراب (**هذا بالنسبة للمؤمنين**) وقال الراغب في المفردات أن أصل الصلصال تردد الصوت من الشيء اليابس والحمأ المسنون هو الطين الأسود المُنتن، (**ثم أسكنتني الأصلاب**) أصلاب الرجال المؤمنين من الأنبياء والأئمة والصالحين، (آمناً لريب المنون) في مأمنٍ من حوادث الدهر ومصائبه، (**واختلاف الدهور**) تصارُمها ومرورها واختلاف الأزمنة والسنين،(**ظاعناً**) سائراً مرتحلاً (**من صلب إلى رحم**) من صلب الرجل إلى داخل الرحم محفوظاً بالحمل،(**في تقادم من الأيام**) من قديم الزمان (**والقرون الخالية**) ومن السنوات الماضية ومعنى جملة (**خلت القرون**) أي مضى منها ما مضى..

(7) بحار الأنوار العلامة المجلسي ج 58 ص 45

قوله (ع):

"لَمْ تُخْرِجْني لِرَأفَتِكَ بي، وَلُطْفِكَ لي، وَإِحْسـانِكَ إِلَيَّ، في دَوْلَةِ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ الَّذينَ نَقَضُوا عَهْدَكَ، وَكَذَّبُوا رُسُلَكَ، لكِنَّكَ أَخْرَجْتَني رَأفَةً مِنْكَ وَتحنُّناً عَلَيَّ لِلَّذي سَـبَقَ لي مِنَ الْهُدى، الَّذي لَهُ يَسَّرْتَني، وَفيهِ أَنْشَأْتَني.

وَمِنْ قَبْلُ رَؤُفْتَ بِي بِجَميلِ صُـنْعِكَ، وَسَـوابِغِ نِعَمِكَ، فَابْتَدَعْتَ خَلْقي مِنْ مَنِيٍ يُمْنَى، وَأَسْكَنْتَني في ظُلُماتٍ ثَلاث، بَيْنَ لَحْمٍ وَدَم وَجِلْد، لَمْ تُشْـهِدْني خَلْقي، وَلَمْ تَجْعَلْ إِلَيَّ شَـيْئاً مِنْ أَمْري، ثُمَّ أَخْرَجْتَني إِلَى الدُّنْيا تامّاً سَوِيّاً، وَحَفِظْتَني فِى الْمَهْدِ طِفْلاً صَبِيّاً، وَرَزَقْتَني مِنَ الْغِذاءِ لَبَناً مَرِيّاً، وَعَطَفْتَ عَلَيَّ قُلُوبَ الْحَواضِـنِ، وَكَفَّلْتَنِي الأُمَّهـاتِ الرَّحـائِمَ، وَكَلأْتَني مِنْ طَوارِقِ الْجـآنِّ، وَسَـلَّمْتَني مِنَ الزِّيادَةِ وَالنُّقْصـانِ، فَتَعالَيْتَ يا رَحيمُ يا رَحْمنُ، حتّى إِذَا اسْـتَهْلَلْتُ ناطِقاً بِالْكَلامِ، أَتْمَمْتَ عَلَيَّ سَـوابِغَ الإِنْعامِ، وَرَبَّيْتَني زائِداً في كُلِّ عام، حَتّى إِذَا اكْتَمَلَتْ فِطْرَتي، وَاعْتَدَلَتْ سَريرتَي، أَوْجَبْتَ عَلَيَّ حُجَتَّكَ، بِأَنْ أَلْهَمْتَني مَعْرِفَتَكَ، وَرَوَّعْتَني بِعَجائِبِ فِطْرَتِكَ، وَأَنْطقتني لِما ذَرَأتَ في سَـمائِكَ وَأَرْضِـكَ مِنْ بَدائِعِ خَلْقِكَ، وَنَبَّهْتَني لِشُـكْرِكَ، وَذِكْرِكَ، وَأَوجَبْتَ عَلَيَّ طاعَتَكَ

وَعِبادَتَكَ، وَفَهَّمْتَني ما جاءَتْ بِهِ رُسُـــلُكَ، وَيَسَّـــرْتَ لي تَقَبُّلَ مَرْضاتِكَ، وَمَنَنْتَ عَلَيّ في جَميعِ ذلِكَ بِعَونِكَ وَلُطْفِكَ.

ثُمَّ إِذْ خَلَقْتَني مِنْ حَرِّ الثَّرى، لَمْ تَرْضَ لي يا إِلهي نِعْمَـةً دُونَ أُخرى، وَرَزَقْتَني مِنْ أَنواعِ الْمَعاشِ، وَصُـــنُوفِ الرِّياشِ بِمَنِّكَ الْعَظيمِ عَلَيَّ، وَإِحْســانِكَ الْقَديمِ إِلَيَّ، حَتّى إِذا أَتْمَمْتَ عَلَيَّ جَميعَ النِّعَمِ، وَصَـرَفْتَ عَنّي كُلَّ النِّقَمِ، لَمْ يَمْنَعْكَ جَهْلي وَجُرْأَتي عَلَيْكَ أَنْ دَلَلْتَني إِلى ما يُقَرِّبُني إِلَيْكَ، وَوفَّقْتَني لِما يُزْلِفُني لَدَيْكَ، فَإِنْ دَعَوْتُكَ أَجَبْتَني، وَإِنْ سَـأَلْتُكَ أَعْطَيْتَني، وَإِنْ أَطَعْتُكَ شَـكَرْتَني، وَإِنْ شَـــكَرْتُكَ زِدْتَني، كُلُّ ذلِكَ إِكْمالٌ لأَنْعُمِكَ عَلَيَّ، وَإِحْســـانِكَ إِلَيَّ.فَسُـبْحانَكَ سُبْحانَكَ، مِنْ مُبْدِئٍ مُعيد، حَميدٍ مجيد، تَقَدَّسَـتْ أَسْماؤُكَ، وَعَظُمَتْ آلاؤُكَ."

يذكر صــلوات الله عليه مكرراً فضــل الله تعالى ورأفته ورحمته بعدم إخراجه في دولة أئمة الكفر الذين نقضـــوا العهد حيث إنه سيُعاني وشيعته من الظُلم والتضييق منهم فيُبتلى بالقوم الظالمين مثلاً فعلى سبيل المثال لا الحصر : يُستشهدُ باكراً وتُحرم الأمة من فيض الله به، حيث أنه لا يمكنني تصـــوّر كيفية وضـــعية المعصــوم (ع) وإخراجه في دولة أئمة الكفر، وذلك لأن عبادته

تامّة وكاملةٌ أينما حلّ، وهو بمســـتوى الكمال والفيض الإلهي اللائق به دوماً كإمامٍ معصوم، بل تفضّل عليه بإخراجه في دولة الإسلام وأمة محمد (ص) **(لِلَّذي سَبَقَ لي مِنَ الْهُدى، الَّذي لَهُ يَسَّــرْتَني، وَفيهِ أَنْشَــأْتَني.)** وجعله إماماً هادياً لما ســبق له من الهداية والإمتثال لطاعة الله ورضـــاه بالتالي حباهُ بمرتبته الســامية، وهو تدريبٌ لنا كعباد عاديّين على شـكر النِعم جميعها وأوّلُها منةً الولادة مُسلمين مُوالين، واعتراف من نَفس المعصوم (ع) بمنة الله عليه، وتقريبه إيّاه بإخراجه في دولةِ الإســـلام والهدى الذي يســـره الله له، وهذا ما تُفَضّـــلُ به هذه الأمّةُ التي تُخرَجُ في آخرِ الزمان وتكون آخر الأمم وهي الأمة المرحومة بمحمد واله صلوات الله عليهم.

إن الإستيلاد في هذه الأمة لَهو من أعظم المكرُمات والنِعم وهو فيضٌ من الله بعدم إقحام هذه النفس في أمم الجهالة والبُعدِ عن الله تعالى، وإذا خُلق المرء منّا في بيئةٍ جاحدةٍ سـيَضُـّـل السـبيلَ ولا يصلُ إلى مراتب العبادة والكمال المنشودة، فعن رسول الله (ص) : **كل مولود يولد على الفطرة فما يزال عليها (الفطرة)**

حتى يعرب عنها لسانه , فأبواه يهوّدانه او ينصّرانه أو يمجّسانه .[8]

وكذا نشأته (ع) في كنف النبوة ونور الرسالة المشعّ واستمر (ع) بذِكر أَنعمِ الله تعالى حتى ذكر ما قبل الإخراج في هذه الأمة حيث حفظه تعالى متقلّباً من صلبٍ إلى رحمٍ ورعاه في أرحام الأمهات، مُبتدعاً خلقه بإتقانٍ عجيب من المنيّ الرقيق المجتمع مع البويضة وعملية التلقيح بينهما بدقّة عجيبة، وأسكنه في الظلمات الثلاث وهي الرَحم (**المتشكّل تشريحياً من ظِهارةٍ وعضلٍ وبطانةٍ حسب الرأي العلمي الحديث**) حيث أدلى بهذه المعلومة قبل قرونٍ من اكتشافها العلمي، وغذّاه بين اللحم والدم والجلد عبر حبل من الأم وهذا غاية في الدقّة وبديع الصُنع، وقوله (ع) (**لم تُشهدني خلقي**) أي أن المخلوق بشكل أعمّ لم يُعاين خَلقه ولم يَحضره فيرتعب أو ينذهل من

[8]. كنز العمال 11730

عظــيمِ الإنتقــال مــن الســائل الــى تلقــيحِ البويضــة إلــى جســمٍ لحمــيٍ طــريٍ شــبه هُلامــيّ إلــى جســم هيكلــي عظمــي مكســوّ، أو أنّــه جــل وعــلا لــم يُخيِّــر مخلوقاتــه بــالخَلق وعدمــه، ذلــك لعــدم دخــالتهم لا ســلباً ولا إيجابــاً فــي الموضــوع، (**ولــم تجعــل إلــيّ شــيئاً مــن أمــري**) يكلّــف أو يُتعــب فــي عمليــة الخلــق بحيــث تكــون مســاهمةً مــن المخلــوق فــي مســيرة خَلقــه، ثــم أخرجــه لِلــذي ســبق مــن الهــدى فــي هــذه الأمّــة المرحومــة بــالنبي (ص) و لِلــذي ســبقَ إلــى الهــدى يعنــي بمــا سَــبق أن نــال التوفيــق لهــذه الهدايــة منــةً مــن الله وتفضــيلاً منــه تعــالى لتفوّقــه عليــه الســلام فــي طاعــة الله وفــي صــعود ســلّم رضــاه كمــالاً الــذي أدى لاختيــاره وتقريبه (ع).

وبدون جهدٍ من هذا الجنين أخرجه تاماً سـوياً من كل النقصــان الخَلقي وتوكّل سُــبحانه رعايته وحفظه حيث لا قوة له وهو ضــعيفُ حالَ كونه رضــيعاً وصــبياً، ورزقه اللبن المريء المســتســاغ من الحواضــن الحنونات والأمهات الرحيمات،

(وكلأتني من طوارق الجان) وحفظه من حوادث الجانّ وسـلّمه من الزيادة والنقصان الموجِب لاختلال هيئته وتعوّقه ...

(فتعاليت) تجلّت عظمتك وارتفعت قدرتك **(يا رحيم)** أي كثير الرحمة وهذه الرحمة من مختصـات المؤمنين **(يا رحمان)** وهي عامة لجميع الخلق.

ويُكملُ صـلوات الله عليه تطوّره في عين الله في مسـيرة الخلق إلى أن بدأ بالنطق وكلّها نعمٌ عظيمة وبدأت أبعاده تتزايد طولا وعرضاً وقوةً واكتملت الفطرة:

- وهي السـجايا والقِيَم الممنوحة من الله تعالى التي تقوّم سـلوك الفرد حيث يكون العمل بموجبها سـلوكاً للسـبيل القويم وتحارب هذه الفطرةَ الغرائزُ والشهواتُ، والفطرةُ مع التعبّد بـالشـرائع والرسـالات تخلُق ذوقاً عـامـاً بمبغوضـية مُخالفة أوامر الله تعالى على كل الأصـعدة وفي كل مجـالات نفوذ الشـيطـان، وعلى فرض عدم وجود شـريعة (مع اسـتحالة ذلك) يكفي مراعاة هذه الفطرة لتوليد طبع عام يكره الإنحراف مع صعوبة ذلك على النفس التي هي مسرح الصراع الأكبر بين الفطرة والشيطان.

واكتمال الفطرة أي وصـــوله الى حد تمييز الحق من الباطل (المخلوق الاعمّ وليس الإمام وهذا ذِكرٌ للنعم العامة في الخلق)

(**واعتدلت مرّتي**) وهي خلطٌ من أخلاط البدن هو الصفراء:

- المادة البلغميّة التي تزيد في المرض وحدّته حيث يكون الطفل أكثر عرضةً للمرض والموت، ومع امتداد عمره تتناقصُ عُرضته للمرض.

وهي كنايةٌ عن اشتدادِ العودِ والتمتّع بالصّحة الجيّدة (**أوجبت عليّ حجتك**) أوجبَ عليه التكاليف الإلهية المطلوبة من العبد كالعبادات وغيرها، ومنّ عليه بمعرفته والخشيةِ منه وكرّمه بعبادته والإلتزام في تكاليفه لينجذبَ إلى ساحة رحمته، وروّعه أي أذهله بعجائب القدرة في الصنيع المتين، وأيقَظهُ ليُنبّهه بما خلق من العجائب في السموات والارض من البدائع والروائع مُحكمةِ الإتقان، (**ونبهتني**) أي لفَته للشّكر لأن شكرَ المنعمِ واجبٌ، وذكره مطلوبٌ دائماً، وفرَض طاعته بالتكاليف المتوجهة عليه وفهّمه ما جاءت به الرسُل الكريمة من الرسائل العظيمة الداعية إلى الله تعالى وعبادته والإيمان به، وسهّل عليه

تقبّل مرضاته والسعي لها وتحمّل المشاقّ والصبر على الطاعة والعبادة في كل الميادين وكل هذا منةٌ منه تعالى وتلطّف.

ثم بعد خَلقِه من خير طينة في العالمين، وهي طينة خيرِ البريّة محمد (ص)، خيرُ الأنبياء لم يرضَ له نعمة دون أخرى (أي لم يحرِمه من أيّ نعمةٍ بل أنعمَ عليه وحبَاه بالنعمِ العظيمةِ الكثيرة) ما ذكرَ منها وما لم يذكُره، وبدأ بالنعمِ من صُنوف الرزق والإحسان والمنّ العظيم الممتدّ من قبلِ الخلقِ إلى ولادتِه ونشأتِه، صارفاً عنه كل النقمات والمكاره، ولم يمنعه الله تعالى لجهله وجرأته على المعاصي (للمخلوق) أن يدلّه على الطرقِ المقربّة اليه وطلب الزلفى لديه، وذلك لرحمته الواسعة العظيمة، فكان جلّ وعلا مُجيباً حين تدعوه الخلائق ومعطٍ حين تسأله العبيد، وشاكراً أي يقبل العبادة ويقرّب العبدَ بها، ومحبّاً لمن أطاعه وزائداً من الفضل والنعم لمن شَكره، وهذا كلّه إغراقاً في مِننه للعبيد ورحمته وتعطّفه، فسبحانه سبحانه (**سبحانك**) والسبحان هو مصدرُ أو

مفعـول مطلـقُ يُفيـد التنزيـه والتقـديس فهـو تنزيـه لله تعـالى وتعظـيمٌ وإجـلالٌ مـن مُبـدئ خـالقٍ مُعيـد عـالمٍ بـالأمور، فهـو الـذي يبـدأ الخلـق ثـم يعيـدُه ويعيـدُ إحيـاءه بعـد مماتـه، حميـدٌ محمـودٌ علـى الـنعم، ذو مجـد عـريض لا يُقـدَر علـى تحديـده أو وَصــفه بشــكل كامــل، وهــو مُعطــي الــنعم وواهبهــا دون اســتحقاقها، تقدســت اســماؤه أي تنزهــت اســماؤه مــن أن يُـدرك بالبصـر او يُشـار إليـه بالبنـان أو أن يتحيّـز أو يَحتويـه مكـان أو أن يجـريَ عليـه الحـدثان وعظمـت آلاؤه أي نعمـه العظيمة .

قوله (ع):

"فَأَيُّ نِعَمِكَ يا إِلهي أُحْصـــي عَدَداً وَذِكْراً، أَمْ أَيُّ عَطاياكَ أَقُومُ بِها شُكْراً، وَهِيَ يا رَبِّ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصِيَهَا الْعادّوُنَ، أَوْ يَبْلُغَ عِلْماً بِهَا الْحافِظُونَ ثُمَّ ما صَرَفْتَ وَدَرَأْتَ عَنّى اَللّهُمَّ مِنَ الضُرِّ وَالضَّرّآءِ، أَكْثَرَ مِمّا ظَهَرَ لي مِنَ الْعافِيَةِ وَالسَّرّآءِ، وَأَنَا أَشْـهَدُ يا إِلهي بِحَقيقَةِ إيماني، وَعَقْدِ عَزَماتِ يَقيني، وَخالِصِ صَـريحِ تَوْحيـدي، وَبـاطِنِ مَكْنُونِ ضَـــميري، وَعَلائِقِ مَجـاري نُورِ بَصَـري، وَأَسـاريرِ صَـفْحَةِ جَبيني، وَخُرْقِ مَسـارِبِ نَفْســي، وَخَذاريفِ مارِنِ عِرْنَيني، وَمَسارِبِ صِماخِ سَمْعي، وَما ضُمَّتْ وَأَطبَقَتْ عَلَيْهِ شَفَتايَ، وَحرِكاتِ لَفظِ لِساني، وَمَغْرَزِ حَنَكِ فَمي وَفَكّي، وَمَنابِتِ أَضْراسـي، وَمَسـاغِ مَطْعَمي وَمَشْرَبي، وَحِمالَةِ أُمِّ رَأْســي، وَبُلُوغِ فارِغِ حبائِلِ عُنُقي، وَمَا اشْـتَمَلَ عَلَيْهِ تامُورُ صَـــدري، وَحمـائِلِ حَبْلِ وَتيني، وَنِيـاطِ حِجـابِ قَلْبي، وَأَفْلاذِ حَواشــي كَبِدي، وَما حَوَتْهُ شَـراسـيفُ أَضْــلاعي، وَحِقاقُ مَفاصِــلي، وَقَبضُ عَوامِلي، وَأَطرافُ أَنامِلي، وَلَحْمي وَدَمي، وَشَــعْري وَبَشَــري، وَعَصَــبي وَقَصَــبي، وَعِظامي، وَمُخّي وَعُرُوقي، وَجَميعُ جَوارِحي..."

يستفهم ويتساءل شاكراً حامداً: أيُّ النعم يُحصي أو يذكر أو أيّ العطايا يشكر؟ وهي كثيرة عظيمة لا يقدرعلى احصائها المُحصون وإن كثروا ولا يحيط بها علماً الحافظون، ثم إنه من النعم أيضاً ما صَرفه الله عز وجل من الضُرّ والضرّاء والبأساء والبلاوي، وإن ما يصرفه من البلاوي الغيبية أكثر من النعم الظاهرة (على سبيل أن دفع المكاره أفضل من بعض النعم).

وبدأ مولانا الحسين (ع) بالقسم العظيم المشدَّد بحقيقة الإيمان التي لا يعرفها بكنهها إلا من هو مثل الحسين (ع) وعهد اليقين وخالص التوحيد وباطن الضمير، ضميره المُفعم بالتوحيد وبالربوبية للخالق الأوحد، حيث بدأ (ع) بإحصاء النعم التكوينية الخَلقية من الله تعالى التي لولاها لانهدمت وما انتظمت خِلقة الإنسان ولانخلّ ما استقرت الطبيعة عليه.

وهذا بيانٌ لما صرح به مناجياً(ع):

- علائق مجاري نور بصري: وهو ما يعكس الصورة البصرية وما يتعلّق به نور البصر.
- أسارير صفحة جبيني: خطوط في الجبهة التي تمنع العرق والماء من الهبوط للعين وإيذائها.
- خرق مسارب نفسي: الخرق هو الثقب ومنافذ مجاري النفس في العروق والأعضاء أي أقصى ما يُستتر داخل الأعضاء.
- خذاريف مارن عريني: وهو الخذروف وهو القطعة والمارن وهوما لان من الأنف والعرنين هو الصلب من الأنف
- مسارب صماخ سمعي: وهي الملتويات والقنوات التي يصل منها الهواء إلى السامعة.

- ما ضمت وأطبقت عليه شفتاي وحركات لفظ لساني: الشفاه واللسان وتفاعلهما الذي يولد اللفظ.
- مغرز الحنك: ما ثبت به الحنك تحت الذقن ومغرز الفكين محل اتصالهما بالجسم.
- منابت الأضراس: محل انبات الضرس وهي الأسنان (خمسة من كل جانب من جوانب الفك).
- مساغ مطعمي ومشربي: ما سهل ولان وطاب وهنأ.
- حمالة أم رأسي: حمالة أم الرأس التي تربط المخ بالبدن.
- تامور: وعاء وهنا يقصد القفص الصدري وما يضم.
- وتين: عرق في القلب يجري منه الدم إلى كافة العروق.
- نياط: عرق القلب الغليظ إذا قُطع مات.

- أفلاذ: القطعة من الكبد المهمة بالجهاز الهضمي.
- شراسيف: جمع شرسوف وهو طرف الضلع المشرف على البطن (يحتوي البطن والقلب والرئتان).
- حقاق: جمع حُق وهو نقر المفصل المسؤول عن القبض والبسط باليد.
- قبض عواملي: ضم الأرجل إلى بعضها.
- وأطراف اناملي وَلَحْمي وَدَمي، وَشَعْري وَبَشَري: إشهاد بكل جارحة وبكل عضو بالجسم من اللحم والدم والشعر والجلد.
- العصب: الأطناب المنتشرة في الجسم التي بها يتحرك الإنسان والقصب كل شيئ مجوف مثل انبوب (مثله القصبة الهوائية).
- وَعِظامي، وَمُخّي وَعُرُوقي، وَجَميعُ جَوارِحي: العظام والدماغ والشرايين والاوردة.
- **قوله (ع):**

قوله (ع):

"وَمَا انْتَسَـــجَ عَلى ذلِكَ أَيّامَ رَضـاعي، وَما أَقَلَّتِ الأَرْضُ مِنّي، وَنَوْمي وَيقَظَتي، وَسُكُوني وَحرَكاتِ رُكُوعي وَسُجُودي، أَنْ لَوْ حاوَلْتُ وَاجْتَهَدْتُ مَدَى الأَعصَـــارِ وَالأَحْقابِ - لَوْ عُمِّرْتُها - أَنْ أُؤَدِّي شُكْرَ واحِدَةٍ مِنْ أَنْعُمِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ذلِكَ إلاّ بِمَنِّكَ الْمُوجَبِ عَلَيَّ بِهِ شُكْرَاً آنِفاً جَديداً، وَثَناءً طارِفاً عَتيداً.

أَجَلْ، وَلوْ حَرَصْـــتُ وَالْعادُّونَ مِنْ أَنامِكَ، أَنْ نُحْصِـــيَ مَدى اِنْعامِكَ، ســالِفِهِ وَآنِفِهِ ما حَصَـرْناهُ عَدَداً، وَلا أَحْصَـيناهُ أَبداً، هَيْهاتَ أنّى ذلِكَ وَأَنْتَ الْمُخْبِرُ عَنْ نفسِـــكَ في كِتابِكَ النّاطِقِ، وَالنَّبَأِ الصّادِقِ: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا}، صَدَقَ كِتابُكَ اَللّهُمَّ وَنْبأُكَ، وَبَلَّغَتْ أَنْبِياؤُكَ وَرُسُـــلُكَ، ما أَنْزَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ وَحْيِكَ، وَشَرَعْتَ لَهُمْ وَبِهِمْ مِنْ دينِكَ.

غَيْرَ أَنّي يا إِلهي أَشْهَدُ بِجَهْدي وَجِدّي، وَمَبْلَغِ طاقَتي وَوُسْعي، وَأَقُولُ مُؤْمِنــاً مُوقِنــاً: اَلْحَمْـدُ للهِ الَّـذي لَمْ يَتَّخِـذْ وَلَـداً فَيَكُونُ مَوْرُوثاً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَريكٌ في المُلْكِ فَيُضادُّهُ في مَا ابْتَدَعَ، وَلا وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ فَيُرْفِدَهُ في ما صَنَعَ، سُبْحانَهُ سُبْحانَهُ سُبْحانَهُ، لَوْ كانَ فيهِما آلِهَةٌ اِلاَّ الله لَفَسَـــدَتا وَتَفَطَّرَتا. فسُـــبْحانَ اللهِ الْواحِدِ الأَحَدِ الصَّمَدِ الَّذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ. اَلْحَمْدُ

للهِ حَمْداً يُعادِلُ حَمْدَ مَلائِكَتِهِ الْمُقَرَّبينَ، وَأَنْبِيائِهِ الْمُرْسَلينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلى خِيَرَتِهِ مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيّينَ، وَآلِهِ الطَّيِبينَ الطّاهِرينَ الْمُخلَصينَ."

ثُمَّ اندفع(ع) في المسألة واجتهد في الدعاء، وقال ـ وعيناه تكفّان دموعاً:

"أَللّهُمَّ اجْعَلْني أَخْشاكَ كَأنّي أَراكَ، وَأَسْعِدْني بِتَقواكَ، وَلا تُشْقِني بِمَعْصِيَتِكَ، وَخِرْ لي في قَضائِكَ، وَبارِكْ لي في قَدَرِكَ، حَتّى لا أُحِبَّ تَعْجيلَ ما أَخَّرْتَ وَلا تَأخيرَ ما عَجَّلْتَ. أَللّهُمَّ اجْعَلْ غِنايَ فى نَفْسي، وَالْيَقينَ في قَلْبي، وَالإِخْلاصَ في عَمَلي، وَالنُّورَ في بَصَري، وَالْبَصيرَةَ في ديني، وَمَتِّعْني بِجَوارِحي، وَاجْعَلْ سَمْعي وَبَصَري الْوارِثَيْنِ مِنّي، وَانْصُرْني عَلى مَنْ ظَلَمَني، وَأَرِني فيهِ ثَأرِي وَمَأرَبي، وَأَقِرَّ بِذلِكَ عَيْني. أَللَّهُمَّ اكْشِفْ كُرْبَتي، وَاسْتُرْ عَوْرَتي، وَاغْفِرْ لي خَطيئَتي، وَاخْسَأْ شَيْطاني، وَفُكَّ رِهاني، وَاْجَعْلْ لي يا إِلهي الدَّرَجَةَ الْعُلْيا فِي الآخِرَةِ وَالأُوْلى."

بـــدأ الامـــام (ع) بالتطبيقـــات العمليـــة للعبـــادة والتقـــوى والخشـــية وملازماتهـــا، حيـــث إنـــه و مـــع وضـــوح اســـتحالة رؤيـــة الله تعـــالى البصـــرية ولتقريـــب الفكـــرة للأجيـــال القادمـــة إســـتخدم تعبيـــر (**إجعلنـــي أخشـــاك كـــأني أراك**) وشـــبّهه تنـــزّلاً وإيصـــالاً للفكـــرة والمناجـــاة بـــالمولى العُرفـــي الـــذي يعمـــل بـــين يديـــه عبـــدُه بتفـــانٍ وإتقـــان وإجـــادة لتنفيـــذ أوامـــره بحيـــث لا تَصـــدر منـــه التجـــاوزات بســـبب حضـــور الســـيد، ومـــع أن الله محـــيطٌ بكـــل شـــيء دعـــا الإمـــام (ع) لنفســـه (علـــى ســـبيل ان حســـنات الابـــرار ســـيئات المقـــربين) وللمـــؤمن المتولّـــد فـــي بطـــون المســـتقبل الســـامع بهـــذه العبـــائر الســـاحرة أن يَرزقـــه طاعتـــه كأنّـــه يـــراه لمنعـــه مـــن التجـــاوز والمعصـــية، وهـــي عبـــارةٌ بلحـــاظ العبـــد لا بلحـــاظ الخـــالق لتدريبـــه علـــى الصـــبر علـــى الطاعـــة، **(وأســـعدني بتقـــواك)** حيـــث تُولّـــد التقـــوى والعبـــادة لـــذةً وأنســـاً وحـــلاوةً تســـقي ظمـــأ المـــؤمن وتنســـيَه همومَـــه متقربـــاً إلـــى ربّـــه وهـــذه هديـــة مخصوصـــة مـــن الله تعـــالى .. وســـألَه أن يجعلَـــه ســـعيداً فـــي كـــل التقلّبـــات ولا يجعلـــه شـــقياً ينتظـــر ســـوء العاقبـــة بذنبـــه، وأن يختـــار لـــه فـــي قضـــائه مـــا بـــه الخِيَـــرة لـــه مـــن صـــالح الامـــور حيـــث إن بعـــض

البلاءات مُتعبةٌ للإنسان، وأن يجعل تقدير الله تعالى له مباركاً سهلاً مؤنساً حتى لا يقَع في مغبّة تمنّي تعجيل ما أخّر جل جلاله وتأخير ما عجّل.. وهذا تدريب واضحٌ لمن سيسمع هذا الدعاء المبارك على مّر العصور.

(اللهم اجعل غناي في نفسي) قد يكون مقصوده (ع) الإستغناء عن الناس وهذا الغنى الحقيقي بحيث يكون المؤمن غنيّاً معنوياً لا يلتفت إلى مغريات الدنيا، ويعيش لحظات السعادة بالقرب المعنويّ وليس بالرغد المادي، فالحال الصحيح هو كون الغنى هو غنى العبادة والتقى بحيث لا عنوانية للفقر لديه سوى افتقاره لرحمة ربّه تعالى.

ثم سأله (ع) أن يثبّت فؤادَه على اليقين ويرزقه الإخلاص في العمل (**وأرني النور في بصري**) ويمتّعه في بصرهِ حيث أنّه قد يُفهم لنور البصر معانٍ متعددة، فقد يكون حِفظاً من العَمى المَادي أو من العمى المعنويّ المرتبط بالبصيرة، وقد يكون مرادُه الشريف هو التوفيق للهداية إلى الصراط المستقيم غير

القابل للإنحراف مع ما في ذلك من صـــلاح القلب، أو يكون قصـــده منعه من رؤية ما لا يجوز النظر إليه ومنحه رؤيةَ ما يجب أو يجوز رؤيته كـآلاء الله العظيمة واتقان الصـــنع في الصنائع المجيدة، والبصيرة في الدين تقع في نفس سياق صيانة الفرد وقلبه من الإنزلاق في أوحال الدنيا.

(وَمَتِّعْني بِجَوارِحي، وَاجْعَلْ سَـمْعي وَبَصَـري الْوارِثَيْنِ مِنّي) وهو الإمتاع الحسن حيث لا يعصيه بها وبقاء السمع والبصر بتمام الصحة والعافية حتى كأنهما يرثان كل أعضائه.

(وَانْصُـرْني عَلى مَنْ ظَلَمَني، وَأَرِني فيهِ ثَأرِي وَمَأرَبي، وَأَقِرَّ بِذلِكَ عَيْني) والنصـــر على الظالمين وإراءة الثأر فيهم وتنفيذ عقابه الشـــديد فيهم، وتلبية ما تمنّى من حاجاته الملحّة وبذلك قرور العين.

(أَللَّهُمَّ اكْشِـــفْ كُرْبَتي، وَاسْـــتُرْ عَوْرَتي، وَاغْفِرْ لي خَطيئَتي، وَاخْسَــأْ شَـيْطاني، وَفُكَّ رِهاني) كشــف الكربة والكآبة وســتر العورة والأخطـاء، وغفران الـذنوب، وخِزي الشـــيطـان وفكّ رهانه الوثيق وقيودِه الثقيلة في قلب العابد بتقويض تأثيره على الإنســان، حيث أن الشــيطان يكون متأهباً يرصــد أي هفوةٍ من العابد.

(وَاْجَعْلْ لي يا إِلهي الدَّرَجَةَ الْعُلْيا فِي الآخِرَةِ وَالأُوْلى) طلب الرفعة بطاعة الله تعالى في الدنيا والعمل في مرضـــاته الموجِبة لنيل الدرجات الرفيعة في الآخرة.

قوله (ع):

"أَللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَما خَلَقْتَني فَجَعَلْتَني سَــميعاً بَصــيراً، وَلَكَ الْحَمْدُ كَما خَلَقْتَني فَجَعَلْتَني خَلْقاً سَوِيّاً رَحْمَةً بي، وَقَدْ كُنْتَ عَنْ خَلْقي غَنِيّاً، رَبِّ بِما بَرَأْتَنْي فَعَدَّلْتَ فِطْرَتي، رَبِّ بِما أَنَشَــأْتَني فَأَحْسَنْتَ صُورَتي، يا رَبِّ بِما أَحْسَنْتَ بي وَفي نَفْسي عافَيْتَني، رَبِّ بِما كَلأَتَني وَوَفَّقْتَني، رَبِّ بِما أَنَعْمَتَ عَلَيَّ فَهَدَيْتَني، رَبِّ بِما أَوْلَيْتَني وَمِنْ كُلِّ خَيْر أَعْطَيْتَني، رَبِّ بِما أَطْعَمْتَني وَسَــقَيْتَني، رَبِّ بِما أَغْنَيْتَني وَأَقْنَيْتَني، رَبِّ بِما أَعَنْتَني وَأَعْزَزْتَني، رَبِّ بِما أَلْبَسْتَني مِنْ سِتْرِكَ الصّافي، وَيَسَّرْتَ لي مِنْ صُــنْعِكَ الْكافي، صَــلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَأَعِنّي عَلى بَوائِقِ الدّهرِ، وَصُرُوفِ اللَّيالي وَالأَيّامِ، وَنَجِّني مِنْ أَهْوالِ الدُّنْيا وَكُرُباتِ الآخِرَةِ، وَاكْفِني شَرَّ ما يَعْمَلُ الظّالِمُونَ فِي الأَرْضِ.

أَللّهُمَّ ما أَخافُ فَاكْفِني، وَما أَحْذَرُ فَقِني، وَفي نَفْســي وَديني فَاحْرُسْني، وَفي سَفَري فَاحْفَظْني، وَفي أَهْلي وَمالي فَاخْلُفْني، وَفي ما رَزَقْتَني فَبارِكْ لي، وَفي نَفْســي فَذَلِّلْني، وَفي أَعْيُنِ النّاسِ فَعَظِّمْني، وَمِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فَسَلِّمْني، وَبِذُنُوبي فَلا تَفْضَــحْني، وَبِسَــريرَتي فَلا تُخْزِني، وَبِعَمَلي فَلا تَبْتَلِني،

وَنِعَمَكَ فَلا تَسْـلُبْني، وَإِلى غَيْرِكَ فَلا تَكِلْني، إِلى مَنْ تَكِلُني، إِلى قَريبٍ فَيَقطَعُني، أَمْ إِلى بَعيد فَيَتَجَهَّمُني، أَمْ إِلَى الْمُسْـتَضْـعِفينَ لي، وَأَنْتَ رَبّي وَمَليكُ أَمْري، أَشْـكُو إِلَيْكَ غُرْبَتي وَبُعْدَ داري، وَهَواني عَلى مَنْ مَلَّكْتَهُ أَمْري.

أَللَّهُمْ فَلا تُحْلِلْ بي غَضَبَكَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ غَضِبْتَ عَلَيَّ فَلا أُبالي، سُبْحانَكَ، غَيْرَ أَنَّ عافِيَتَكَ أَوْسَعُ لي، فَأَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذي أَشْرَقَتْ لَهُ الأَرْضُ وَالسَّماواتُ، وَانكَشَفَتْ بِهِ الظُّلُماتُ، وَصَلُحَ عليهْ أَمْرُ الأَوَّلينَ وَالآخِرينَ، أَنْ لا تُميتَني عَلى غَضَـبِكَ، وَلا تُنْزِلْ بي سَـخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبى حَتّى تَرْضـى قَبْلَ ذلِك، لا إِلهَ إلاّ أَنْتَ، رَبَّ الْبَلَدِ الْحَرامِ وَالْمَشْـعَرِ الْحَرامِ، وَالْبَيْتِ الْعَتيقِ الَّذي أَحْلَلْتَهُ الْبَرَكَةَ، وَجَعَلْتَهُ لِلنّاسِ أَمْنَةً.

يا مَنْ عَفا عَنْ العَظيمِ من الذُّنُوبِ بِحِلْمِهِ، يا مَنْ أَسْـبَغَ النَّعْماءَ بِفَضْـلِهِ، يا مَنْ أَعْطَى الْجَزيلَ بِكَرَمِهِ، يا عُدَّتي في شِـدَّتي، يا صـاحِبي في وَحْدَتي، يا غِياثي في كُرْبَتي، يا مُؤْنِسِـي فِي حُفْرَتِي، يـا وَلِيّي في نِعْمَتي، يـا إِلهي وَإِلَـهَ آبـائي إِبْراهيمَ وَإِسْـماعيلَ وَإِسْـحاقَ وَيَعْقُوبَ، وَرَبَّ جَبْرَئيلَ وَميكـائيلَ وَإِسْـرافيلَ، وَربَّ مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيّينَ وَآلِهِ الْمُنْتَجَبينَ، مُنْزِلَ التَّوراةِ، وَالإِنْجيلِ، وَالزَّبُورِ، وَالْقُرآنِ العظيم، وَمُنْزِلَ كهيعص،

وَطَهَ وَيَس، وَالْقُرآنِ الْحَكيمِ، أَنْتَ كَهْفي حينَ تُعيينِي الْمَذا هِبُ في سَعَتِها، وَتَضيقُ بِيَ الأَرْضُ بِرُحْبِها."

(أللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَما خَلَقْتَني فَجَعَلْتَني سَميعاً بَصيراً) خَلَقه خلقاً سويّاً رحمة به آمناً من الأمراضِ والنقصان، ثم شرفّه بالعبادة مع أنه غني عن عبادته وعن خلقه **(رَبِّ بِما بَرَأْتَنْي فَعَدَّلْتَ فِطْرَتي .....)** يقسم بالله تعالى واستخدم **" ربِ بما "** وهي قسم تضرع ودعاء بما منّ عليه بهذه الخلقة وتعديل الفطرة بجعلها مستقيمة نقية مفطورة على حبّ الخير والمعرفة، والتَوق الى الكمال وكراهة الشرّ والرذائل، وأقسم عليه بما خلقه سويّاً كاملاً، وبإحسان الله اليه وفي جسمه و نفسه كالعافية في البدن من الاسقام، والخلوص من الشوائب النفسية، وأقسم عليه بحِفظه له وتوفيقه، وبما أنعم عليه من الهداية، وبما منحه وصنعه له من صنوف الخيرات والبركات، وإطعامه له وسقايته واستساغته لهذه المطاعم والمشارب، وأقسم عليه بما فضّله بإغنائه عن الخلائق وكفايته ووصوله

للرضا (**وأرضيتني**) وأقسم عليه بما اختبره به، وأعانه على اختباره وإغنائه عن بعض الأمور (**أقنيتني**) وقد يُقصد بها الغنى المادي، وأقسم بما نَصره، وبما وفقه لأن يستر عورته وعيوبه بستره الصافي الرادع عن ارتكاب الذنوب والباعث على الطاعة، واقسم عليه بما رزقه من رزقه الكافي ومِننه الجليلة حيث جمع كل هذه المزايا المميّزة في فقرة دعائه وتهجّده ودعاه بحالة نفسية سامية أن يصليَ على محمد وال محمد وأن يعينَه على بوائقَ الدهر ومصائبه، والنوائب التي تختبئ في الليالي والأيام وينجيَه من أهوال الدنيا وكُرَب الآخرةِ وان يكفيَه شرّ ما يكيد الظالمون له.

ثم شرع (ع) في الدعاء:

"أَللّهُمَّ ما أَخافُ فَاكْفِني، وَما أَحْذَرُ فَقِني، وَفي نَفْسـي وَديني فَاحْرُسْني، وَفي سَفَري فَاحْفَظْني، وَفي أَهْلي وَمالي فَاخْلُفْني , وَفي ما رَزَقْتَني فَبارِكْ لي، وَفي نَفْسـي فَذَلِّلْني، وَفي أَعْيُنِ النّاسِ فَعَظِّمْني، وَمِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فَسَلِّمْني، وَبِذُنُوبي فَلا تَفْضَحْني، وَبِسَريرَتي فَلا تُخْزِني، وَبِعَمَلي فَلا تَبْتَلِني، وَنِعَمَكَ فَلا تَسْلُبْني، وَإِلى غَيْرِكَ فَلا تَكِلْني، إِلى مَنْ تَكِلُني، إِلى قَريبٍ فَيَقطَعُني، أَمْ إِلى بَعيد فَيَتَجَهَّمُني، أَمْ إِلَى الْمُسْتَضْعِفينَ لي، وَأَنْتَ رَبّي وَمَليكُ أَمْري، أَشْكُو إِلَيْكَ غُرْبَتي وَبُعْدَ داري، وَهَواني عَلى مَنْ مَلَّكْتَهُ أَمْري."

ثم سأل الله تعالى أن يكفيَه همّ ما يُخاف منه من البوائق، وما يُحذَر من المصائب والفتن، وسأله أن يحرُسه في نفسه ودينه من غزوات الشيطان القاتلة واستدراجاته المغرية، وأن يحفَظه في السفر والحضر، وأن يخلُفه بالولد الصالحِ والمال المحصّلِ برضا الله تعالى ومباركته، وأن يبقيَه يرى الذلّة في نفسه ليجتهد في التخشع لله، وأن يعظّمه الله في أعينَ الناسِ بتوفير أسباب الهيبة والقداسة التي تحفظ المؤمن، وتجذبُ غيره الى الجادّة

الصــحيحة وتذكّر الناس بالطريقة المثلى، وأن يسـلّمه من الجنّ والانس وفعالهم الشـيّنة، وأن لا يفضـحه بذنوبه على الملأ، وأن لا يكشــف ســوءَ ســريرته فيســقطَ من أعين الناس أو أن يحفظَ ســريرته وتظلّ نيةُ الخير مســتوطنةً فيها، وســأله أن لا يفتِنه بالعمل الصــالح الذي يتزامنُ مع دخول العُجب في قلبه، وســأله أن لا يبتليَه بالعمل السيئ المُبعد له عن طريق رضاه جل وعلا، وسـأله دوام النعمة وعدم سلبها منه لأنها من الله وهو غني عنها فســـأله أن يتركه يتنعم بها لحاجته بها، وســـأله أن لا يكِلهُ إلى غيره تعالى و أن لا يجعلَ لأحدٍ ولايةً عليه وكان في مقام الإســـتفهام الإنكاري يقول: **أتكلني إلى قريب فيقطعني ويقتّر عليّ ويمنعني؟؟؟**

أم إلى بعيد فيتجهمني ويعبِس بي ويزجرني الى ما أكره وفي ذلك كســر لقلبي؟ أم تكلني إلى الضــعفاء الذين لا يقدرون على شـــيء بل هم بحاجة مثلي؟ أو كانوا بحاجتي فصــرت بحاجتهم وأنت القادر الكريم وأنت ربي ومليك أمري؟!

إن الكلام هو تدريبٌ للمأمومين على طاعة الله والصـــبر عليها والإعتراف بالذنوب حيث أن بعض الأمور لا تصحّ نسبتُها إلى المعصوم (ع).

ثم شـــرع (ع): **(أشْـــكُو إِلَيْكَ غُرْبَتي وَبُعْدَ داري، وَهَواني عَلى مَنْ مَلَّكْتَهُ أَمْري)**

حيث كان (ع) بعيداً عن الديار ديار جدّه (ص) في المدينة غريباً مع ظَعن الرســالة في مكة المكرّمة في موســم الحج وقد طلبه المجرمون من اتباع بني امية لقتله.

ويُكمل وهو في هذه الحالة النفســانية الرهيبة ويصـــرّح أنه لا يبالي ما دام الله تعالى راضٍ عنه غيرُ غاضـــبٍ عليه، ولا يبالي بجليل ما ســيحلّ به ســواءً من الغربة أو من ألم الجِراح أو من فراق الأحبّة من الوُلد والإخوة الكرام , غير أنه مع خضـــوعه التام لمشــيئة الله وقبوله المُرضـــي بما كتبه الله تعالى وحســب ســياق تعداد النِعم الظاهرة والباطنة يلمّحُ أن يدفعَ الله تعالى عنه هذا البلاء الجليل والإلتحام العنيف مع القوم الجاحدين لكي لا يُبتلى بهم ولا يُبتلون بسفك دمائه الزاكية وقتله الذي يُخلّف فقدان فيض الله جل وعلا في هذه الأمة وبالتالي عقابهم أشـــدّ العقوبة عند الله تعالى.

ثم أكمل بالمسألة العظيمة قائلاً:

"فَأَسْــأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذي أَشْــرَقَتْ لَهُ الأَرْضُ وَالسَّــماواتُ، وَانكَشَفَتْ بِهِ الظُّلُماتُ، وَصَلُحَ عليهْ أَمْرُ الأَوَّلينَ وَالآخِرِينَ، أَنْ لا تُميتَني عَلى غَضَـبِكَ، وَلا تُنْزِلْ بي سَـخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبى حَتّى تَرْضـــى قَبْلَ ذلِك، لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ، رَبَّ الْبَلَدِ الْحَرامِ وَالْمَشْـــعَرِ الْحَرامِ، وَالْبَيْـتِ الْعَتيقِ الَّـذي أَحْلَلْتَـهُ الْبَرَكَـةَ، وَجَعَلْتَـهُ لِلنّـاسِ أَمْنَـةً."

ثم أقســـم على الله تعالى بنور وجهه تعالى - الذي أشـــرقت له الأرض والســـماء، وســـرى الكون وحُفِظ بأمره وتدبيره تعالى، وانكشـف بنور وجهه ظلامُ الجهالة والكفر، وصـلُحت بشـرائعه الكريمة أمور الأوّلين والآخرين - أن لا يُميتَه على غضـــبه ولا يُحلل عليه سخطَه.

لك العتبى يعني التوق إلى الرضـــا وطلبه بشـــدة والعتبى هي المؤاخذة أو المراجعة عن الذنب وطلب الصـفح بعد الإقرار به، وهذا عجيب الفناء في توحيد الله وخوفه وتجنّب غضـــبه وســـخطه، بالرغم من أنّه لم يبدر منه (ع) زلّةٌ أو خطأ أو ما يُخالف العبادة الإنطباقية التامة التي يمثّلها وجود المعصوم (ع).

لا إله إلا أنت: خلاصة التوحيد والإقرار بالعبودية والوحدانية، ربّ البلد الحرام مكة وجوارها مع ما فيها من خصوصية البيت (الكعبة المشرفة)، وربّ هذه الأماكن الشريفة الذي سنّ الله بها مناسكَ التعبّد في الحجّ والعمرة وجعلِها للناس أمناً ...

قوله صلوات الله عليه : **"يا مَنْ عَفا عَنْ العَظيمِ من الذُّنُوبِ بِحِلْمِهِ، يا مَنْ أَسْبَغَ النَّعْماءَ بِفَضْلِهِ، يا مَنْ أَعْطَى الْجَزيلَ بِكَرَمِهِ، يا عُدَّتي في شِدَّتي، يا صاحِبي في وَحْدَتي، يا غِياثي في كُرْبَتي، يا مُؤْنِسي فِي حُفْرَتِي، يا وَلِيّي في نِعْمَتي، يا إِلهي وَإِلَهَ آبائي إِبْراهيمَ وَإِسْماعيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ، وَرَبَّ جَبْرَئيلَ وَميكائيلَ وَإِسْرافيلَ، وَربَّ مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيّينَ وَآلِهِ الْمُنْتَجَبينَ، مُنْزِلَ التَّوراةِ، وَالإِنْجيلِ، وَالزَّبُورِ، وَالْقُرآنِ العظيم، وَمُنْزِلَ كهيعص، وَطَهَ وَيَس، وَالْقُرآنِ الْحَكيمِ، أَنْتَ كَهْفي حينَ تُعيينِي الْمَذاهِبُ في سَعَتِها، وَتَضيقُ بِيَ الأَرْضُ بِرُحْبِها، وَلَوْلا رَحْمَتُكَ لَكُنْتُ مِنَ الْمَفْضُوحِينَ."**

ثم أكمل (ع) بالتمجيد والحمد والثناء، وعدّد بعض صفات الله تعالى تِجاه خلقه من العفو عن الذنوب والحلمِ

وإســباغ جزيــل الــنعم، والتفضّــل بالإغــداقِ علــى الخلــق بـالكرم العظـيم، (يـا عـدّتي عنـد شـدّتي) وهـي كـل مـا يحتاجُـه المــرءُ فـــي الشــدّة، والصــاِحب فـــي الوحــدة، والغــوث فـــي الكربــات، والمــؤنِس فــي القبــر وفــي أهــوال القيامــة ومــا قبلهـا، ووليّ النعمـة، والإلـه الأوحد، وإلـه السـابقين مـن آبائـه وأجـدادِه الكـرام الأنبيـاء العِظـام ابـراهيم واسـماعيل واسـحق ويعقـــوب ورب الملائكـــة المقـــربين وربّ محمـــدٍ (ص)، ومنـــزل التـــوراة والإنجيـــل والزبـــور والقـــرآن، ومُنـــزل الرمـــوز القرانيـــة الســـريّة بينـــه وبـــين نبيّـــه الدّالـــة علـــى الإعجــاز الرهيــب وهــي أوائــل بعــض الســور (كهـيعص و طـه ويـس) هـذا الإلـه العظـيم هـو كهـف مولانـا الحسـين (ع) وكهــف كــل مــؤمن ومؤمنــة حــين تُتعبــه وعــورة الطريــق وتوحِشــه ظلامــة السـبُل، وهــو ســبب فرَجــه وانفراجــه حــين

تضيق عليه الأرضُ بما رحُبت , و لولا رحمة ربّه لكان هذا العبد من المكشوفين لعدوهم والمفضوحين أمام القريب والبعيد...

وقوله (ع) حول إقالة العثرة هو مجازٌ عن المسامحة من الذنب والصفح عن الزلة والرفع بعد السقوط (منه الإقالة في البيع لأنه رافع للعقد) قوله (ع) (**وَأَنْتَ مُؤَيِّدي بِالنَّصْرِ عَلى أَعْدائي، وَلَوْلا نَصْرُكَ إِيّايَ لَكُنْتُ مِنَ الْمَغْلُوبينَ**) ولولا سترُه لكان من المفضُوحين وهو الذي يمنّ بالنصرِ لِمن يشاء، ولولا انتصارُه لكان مغلوباً تصريحٌ أن اسباب العزّة والنهوض كلها بيد الله تعالى.

قوله (ع):

"يا مَنْ خَصَّ نَفْسَـهُ بِالْسُّـمُوِّ وَالرِّفْعَةِ، وأَوْلِياؤهُ بِعِزِّهِ يَعْتَزُّونَ، يـا مَنْ جَعَلَـتْ لَـهُ الْمُلُوكُ نِيرَ الْمَـذَلَّـةِ عَلى أَعْنـاقِهِمْ، فَهُمْ مِنْ سَـــطَواتِهِ خائِفُونَ، تَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّـــدُورُ، وَغَيْبَ ما تَأْتِي بِهِ الأَزْمِنَةُ وَالدُّهُورُ، يا مَنْ لا يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ إِلاَّ هُوَ، يـا مَنْ لا يَعْلَمُ مـا يَعْلَمُ إِلاَّ هُوَ، يـا مَنْ كَبَسَ الأَرْضَ عَلَى الْماءِ، وَسَـدَّ الْهَواءَ بِالسَّـماءِ، يا مَنْ لَهُ أَكْرَمُ الأَسْـماءِ، يا ذَا الْمَعْرُوفِ الَّذي لا يَنْقَطِعُ أَبَداً، يا مُقَيِّضَ الرَّكْبِ لِيُوسُفَ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ، وَمُخْرِجَهُ مِنَ الْجُبِّ وَجاعِلَهُ بَعْدَ الْعُبودِيَّةِ مَلِكاً، يا رادَّهُ عَلى يَعْقُوبَ بَعْدَ أَنِ ابْيَضَّـــتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظيمٌ، يا كاشِفَ الضُّرِّ وَالْبَلْوى عَنْ أَيُّوبَ، وَيا مُمْسِكَ يَدَيْ إِبْراهيمَ عَنْ ذَبْحِ ابْنِهِ بَعْدَ كِبَرِ سِـنِّهِ، وَفَناءِ عُمُرِهِ، يا مَنِ اسْـتَجابَ لِزَكَرِيّا فَوَهَبَ لَهُ يَحْيى، وَلَمْ يَدَعْهُ فَرْداً وَحيداً، يا مَنْ أَخْرَجَ يُونُسَ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ، يا مَنْ فَلَقَ الْبَحْرَ لِبَني إِسْـرَائيلَ فَأَنْجاهُمْ، وَجَعَلَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ مِنَ الْمُغْرَقينَ، يا مَنْ أَرْسَـلَ الرِّياحَ مُبَشِّـراتٍ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، يا مَنْ لَمْ يَعْجَلْ عَلى مَنْ عَصـاهُ مِنْ خَلْقِهِ، يا مَنِ اسْتَنْقَذَ السَّحَرَةَ مِنْ بَعْدِ طُولِ الْجُحُودِ، وَقَدْ غَدَوْا فى نِعْمَتِهِ يَـأْكُلُونَ رِزْقَـهُ، وَيَعْبُـدُونَ غَيْرَهُ، وَقَـدْ حـادُّوهُ وَنـادُّوهُ وَكَـذَّبُوا رُسُلَهُ."

حيث ان الله تعالى يختصّ بأسباب الرفعة والسمّو، وهو يُفيضُ بها على المخلوقين الذين يحتاجون إلى أسباب وعناوين ترفعهم، وبعزة الله يرتفع المؤمن، فإنه يرفعُ من يشاء ويُعزّ من يشاء، وهذا لا يتنافى مع ما جرى في حقّ الأئمة عليهم السلام من الظُلم والقتل، حيث أن نفوسهم عزيزةٌ بعزةِ خالقهم، والمدارُ والفصلُ هو يوم القيامة وليس هذه الدنيا الزائفة وإن غَلب فيها أعداء الدين كَبني أمية، وهذا دليل واضحٌ على هوان الدنيا على الخالق تعالى.

(يا مَنْ جَعَلَتْ لَهُ الْمُلُوكُ نِيرَ الْمَذَلَّةِ عَلى أَعْناقِهِمْ) النير هو الخشبة التي توضع على عنق الثور فيُذلّلُ ليفلَح الأرضَ ويستقيم خط سيره، وشبّه هذه الطريقة بطريقة إذلال الله تعالى للملوكِ والجبابرة حيث يسلُب الملك ممّن يشاء ويرزقه من يشاء، وهذه الممالكُ والدول لا تتّصل ولا تدوم إن أراد تعالى محوَها، وهي باقيةٌ وإن اجتمع أهل الأرض على محقها كما فعل الأعداء في مذهب الحق... وأن الملوكَ مهما علا شأنهم وسما سُلطانهم ما هم إلا أذلاءُ في حضرته تعالى، حيث يستطيع بقدرته إفشال

حكمهم وإبطال دولتهم وزلزلة عروشـــــهم، والســــنن التاريخية تشهد بعجائب ذلك وسرعته... (**فَهُمْ مِنْ سَطَواتِهِ خائِفُونَ)**.

(تَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ) وهي المعاصي التي لا تظهر للغير كالنظر المحرّم وغيره [9] وما تخفيه الصدور وتكنّه النفس وتستره من ضروب النفاق والكفر، ويعلم ما سيكون في المستقبل من الازمنة .

وقوله (ع): **(يا مَنْ لا يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ إِلاَّ هُوَ، يا مَنْ لا يَعْلَمُ ما يَعْلَمُ إِلاَّ هُوَ)** كنايةٌ عن المختصّـــــات الإلهية من العلم والتدبير، وصفاته الذاتية حيث أن التفكير بها بدون استناد إلى علوم أهل البيت (ع) يؤدّي إلى الضلال فهذه العلوم كالموج المتلاطم.

قال رســـول الله (ص) : **تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا**.[10]

وفي حديث آخر عن أمير المؤمنين (ع): **من تفكر في ذات الله ألحد – وفي رواية أخرى تزندق**[11]

وقال الصـــادق (ع) : **إياكم والتفكر في الله فإن التفكر في الله لا يزيد إلا تيهاً، إن الله لا تدركه الأبصار ولا يوصف بمقدار.**[12]

[9]. تفسير الميزان – السيد الطباطبائي ج 17 ص 320

[10]. كنز العمال 106/3

[11]. غرر الحكم 8503/8487

[12]. آمالي الصدوق ج 3 ص 340

فالله تعالى لا يُعرف بالكيف ولا بالماهيّة الحقيقية ولا يعلَم سـرّه إلا هو ولا أحدٌ من خلقه يحتَمل أن يعلمَ ما هو، ويتعذّر علينا كمخلوقين أن نُحيطَ بكل هذه الأسماء والصِفات، لكنه جلّ وعلا سـمحَ لعباده المتفكّرين أن يعرفوا بعض الأوصـاف التي تعكِس نورانيّته في الخلقِ، مثل الصفات الجلالية والصفات الكمالية.

شرحٌ بسيط:

- إن الكيف الذي هو عرَض لا يقبل القسـمة ولا النسـبة لذاته وهو على اربعة انحاء:
    1. كيف نفسي: كالعلم والقدرة
    2. كيف مختص بالكميات: كالإسـتقامة والإنحناء والزوجية والفردية.
    3. كيف استعدادي: وهو الإنفعال واللين.
    4. كيف محسوس بالحواس الخمسة: سمع بصر شم.

وهذا كله لا يجوز تمثيله على الخالق الباري.

- الصـفات الجلالية وهي الصـفات الهادفة إلى نفي نقص وحاجة عنده سـميت جلالية او سـلبية كنفي الحيّز

والجســـمية والحركة والقيد التي تؤدي إلى الحدث أو التركيب.

- الصــــفات الجمالية وهي الصـــفات المثبتة لجمالٍ في الموصـوف والمشـيرة الى واقعيةٍ في ذاته سـمّيت ذاتية او جمالية كالعلم والقدرة والحياة، وهناك صـــفات فعلية (منتزعـة من الذاتيـة) تكون زائدة على الذات منتزعة من مقـام الفعـل والقـدرة كـالرزق والخلق والرحمـة والمغفرة (صـفات الذات لا يصـح لصـاحبها الإتصـاف بأضـــدادها ولا يخلو منها – مثل علم وقدرة وحياة، أما صـفات الفعل فيصـحّ الإتصـاف بأضـدادها – مثل لم يرزق هذا ولم يغفر لهذا).

قوله (ع):

(يا مَنْ كَبَسَ الأَرْضَ عَلَى الْماءِ، وَسَدَّ الْهَواءَ بِالسَّماءِ) أي طمر الماء بالأرض والتربة وجعلها يابسة وبراً لينعَم بها الناس، وسدّ الهواء ومنعه من الخروج إلى فضاء الكون لكون هذا الحدث يؤدي لاختلال النظام والقانون الفيزيائي من الضغط الجوي والحرارة بالتالي فناء هذه المخلوقات، بل ترَك الهواء في سمائهم ليتنفسوا ويحافظ على أبدانهم من التمزّق بإنخلال الضغط الجوي والحرارة، وهذه مع أنّها نعمةٌ تكادُ لا تُلحظُ في نظرنا لكنها أساسيّة وعظيمةٌ في بقاء الخلق ... **(يا مَنْ لَهُ أَكْرَمُ الأَسْماءِ)** يا من له أجلّ الصفاتِ وأعظمها، ويا صاحب المعروف الذي لا ينقطع أبداً مع ما يعتري العبيد من الذنوب والزلّات والعوارض التي تُبعدهم عن الله تعالى وطاعته...

قوله (ع): **(يا مُقَيِّضَ الرَّكْبِ لِيُوسُفَ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ)** حيث أفاض الله مِننه التي أدّت إلى اكتشاف مكان النبي يوسف (ع) بعد أن رماه إخوته في البئر وسط الصحراء، وجاعلُه بعد وجدانه ملكاً في بلاد غريبة عنه، ورادّه على أبيه الذي ابيضّت عيناه من الحزن على فقدانه وهو مهموم من شدة الحزن (كظيم).

(يا كاشِفَ الضُّرِّ وَالْبَلْوى عَنْ أَيُّوبَ، وَيا مُمْسِكَ يَدَيْ إِبْراهيمَ عَنْ ذَبْحِ ابْنِهِ بَعْدَ كِبَرِ سِنِّهِ، وَفَناءِ عُمُرِهِ، يا مَنِ اسْتَجابَ لِزَكَرِيّا فَوَهَبَ لَهُ يَحْيى، وَلَمْ يَدَعْهُ فَرْداً وَحيداً) النبي أيوب (ع) الذي طرَده قومه لشدة بلائه خاصة في جسَده و كانوا ينبذونه ويُبعدونه لفقره وبلائه، ومانعِ إبراهيم النبيّ (ع) من ذَبح ابنه وتأويله الرؤيا بعد أن كبُر سنه وعزّ عليه الولد وأفنى عمره في طاعة الله فأبقاه الله له ذخراً وجعله نبياً، وجعل من ذريته المسلمين، يا من استجاب لزكريا ورزقه بعد سنيّ العقم الطويل ولداً ولم يدعه فرداً، يا من أخرج يونسَ من بطن الحوت حياً،و هذا تعدادٌ لنعم الله تعالى على الأنبياء وعلى الناس لتظل جذوة رسالته تُشعّ عليهم، ومنجي بني اسرائيل من فرعون وجنوده حيث فَلق لهم البحر بإعجازٍ عجيبٍ وأغرق الجنود الكفرة .

(يا مَنْ أَرْسَلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، يا مَنْ لَمْ يَعْجَلْ عَلى مَنْ عَصاهُ مِنْ خَلْقِهِ) حيث تبشّر الرياح بقدومِ المطر الذي فيه غوثُ الأرض وغوثُ سكانّها، وأمهل العاصي ولم يعجّل له العقوبة **(يا مَنِ اسْتَنْقَذَ السَّحَرَةَ مِنْ بَعْدِ طُولِ الْجُحُودِ، وَقَدْ غَدَوْا**

فى نِعْمَتِـهِ يَأكُلُونَ رِزْقَهُ، وَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَقَدْ حادُّوهُ وَنادُّوهُ وَكَذَّبُوا رُسُـلَهُ) وهو جلّ وعلا من رزق سَحرة فرعون الهداية ولينَ القلب لتلقي هذا الفيض العظيم الذي أدّى بهم إلى الإيمان والتوحيد ومقارعة فرعون ومعاندته، بعدما رَأوا الإعجازَ في العصــا وغيرها من معاجز نبي الله موســى (عليه وعلى نبيّنا السـلام)، وهذا اسـتنقاذٌ من الله تعالى بعد طول جحودهم حيث كانوا قبل ذلك في نعمة الله يتقلّبون وللأســف يكذّبون رســلَه ويعبدون غيرَه بعد أن جعلوا له أندادا جلّ وعلا سبحانه وتعالى.

قوله (ع):

"يا اَللّهُ، يا بَديءُ لا بَدءَ لَكَ دائِماً، يا دائِماً لا نَفَادَ لَكَ، يا حَيّاً حينَ لا حَي، يا مُحْيِيَ الْمَوْتى، يا مَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْس بِما كَسَبَتْ، يا مَنْ قَلَّ لَهُ شُكْري فَلَمْ يَحْرِمْني، وَعَظُمَتْ خَطيئَتي فَلَمْ يَفْضَحْني، وَرَآني عَلَى الْمَعاصي فَلَمْ يَخذُلني، يا مَنْ حَفِظَني في صِغَري، يا مَنْ رَزَقَني فى كِبَري، يا مَنْ أَياديهِ عِنْدي لا تُحْصى، وَنِعَمُهُ لا تُجَازى، يا مَنْ عارَضَني بِالْخَيْرِ والإِحْسانِ، وَعارَضْتُهُ بِالإِساءَةِ وَالْعِصْيانِ، يا مَنْ هَداني لِلإِيمانِ مِنْ قَبْلِ أنْ أَعْرِفَ شُكْرَ الأمْتِنانِ، يا مَنْ دَعَوْتُهُ مَريضاً فَشَفاني، وَعُرْياناً فَكَساني، وَجائِعاً فَأَشْبَعَني، وَعَطْشاناً فَأَرْواني، وَذَليلاً فَأَعَزَّني، وَجاهِلاً فَعَرَّفَني، وَوَحيداً فَكَثَّرَني، وَغائِباً فَرَدَّني، وَمُقِلاً فَأَغْناني، وَمُنْتَصِراً فَنَصَرَني، وَغَنِيّاً فَلَمْ يَسْلُبْني، وَأَمْسَكْتُ عَنْ جَميعِ ذلِكَ فَابْتَدَأَني."

يا الله أيها السيد الأول (بديء) يا مُبدع الخلق يا من لا نظير له ولا مثيل ولا فناء له ولا انقضاء، يا أيّها الحيّ الذي يُفيض الحياة، وهو الحيّ قبل وجود أي حيّ، ويا مُحي الموتى، و هذا الإعجاز العظيم أن يموت المرء وتتغير هيئته وتتحلل رفاته بعد

أن تصعدَ روحه ويتلاشى حيّز تمركزها الجسماني وتنتشر في الأثير، ويُعيده حياً كما في قصة النبي عزير (ع)، وهو القائم على كل شيء أي متسلّط عليه ومهيمن ومدبّر، ويعلم ما تكنّ الصدور، وما تجرح كل جارحة، وهو المُعطي ولا يحبِس نعمته، ولم يعاقب على قلّة الشكر وعِظَم الخطيئة، ولم يفضح ويشهّر بالعصاة المبتلين، والحافظُ عبيده في الصِغر وحالة الرضاع حيث يكون الرضيع ضعيفاً لا يقوى على شيء، وظلّ يُنّعمه برزقه في فترات الصبا والشباب والتقدم بالعمر بحيث أن نعمَه تعالى لا تُحصى ولا تُعدّ، ولا يُمكن أن تُقابل بشكرٍ أو عملٍ يساوي بعضَ فضلها.

ثم إن الله مانح الخير والإحسان بكل حال رغم معارضة العبيد له بالإساءة والعصيان لم يسدّ عليهم باب الرجوع إلى رضاه، يعني مع عدم شُكره وحمده ظلّ نور الهداية ينير قلوبهم ووخز الضمير يحفّز رجعنهم إليه، ولم يحرمهم من سُبل التقرّب إليه جل وعلا، ومع عدم شُكر هذا العبد الدائم حببّ إليه العبادة وهذا فضلٌ عظيمٌ ونعمةٌ سابغة أن يتوق العبد دوماً لذكر ربّه ويحبّ ذكره وإن لم يقدر على ذلك أو قدر ولكن بشكل طفيف.

يا مجيب الدعاء: فالمريض يَشـــفيه والعريان يَكســـوه والجائع يُشـــبعه والعطشـــان يَرويه والذليل يُعزه والجاهل يُعلّمه والوحيد يُكثّره والغائب يَرده والفقير يُغنيه والمنتصـــر يَنصـــره، ويَدعوه الغني فيُجزل عطاياه عليه، ويثبّت عليه النعم ولا يســـلبه ولا يمنعه وإن لم يَدعُه بل يبتدئه برحمته.

قوله (ع):

"فَلَكَ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ، يا مَنْ أَقالَ عَثْرَتي، وَنَفَّسَ كُرْبَتي، وَأَجابَ دَعْوَتي، وَسَـــتَرَ عَوْرَتي، وَغَفَرَ ذُنُوبي، وَبَلَّغَني طَلِبَتي، وَنَصَـــرَني عَلى عَدُوّي، وَإِنْ أَعُدَّ نِعَمَكَ وَمِنَنَكَ وَكَرائِمَ مِنَحِكَ لا أُحْصيها."

ثم يعاوِد الشـــكر والحمد على غفران الزلّة وإقالة العثرة وتنفيس الغمّ والهمّ، وإجابة الدعوة وستر العورة وغفران الذنوب وبلوغ الطلِبة (الحاجة)، والنصـر على العدو، ويكرّر مراراً عدم قدرته على إحصاءِ نعم ربّه وتعدادِها وكلّها منحٌ عظيمة.

قوله (ع):

"يا مَوْلاي، أَنْتَ الَّذي أَنْعَمْتَ، أَنْتَ الَّذي أَحْسَنْتَ، أَنْتَ الَّذي أَجْمَلْتَ، أَنْتَ الَّذي أَفْضَلْتَ، أَنْتَ الَّذي مَنَنْتَ، أَنْتَ الَّذي أَكْمَلْتَ، أَنْتَ الَّذي رَزَقْتَ، أَنْتَ الَّذي أَعْطَيْتَ، أَنْتَ الَّذي أَغْنَيْتَ، أَنْتَ الَّذي أَقْنَيْتَ، أَنْتَ الَّذي آوَيْتَ، أَنْتَ الَّذي كَفَيْتَ، أَنْتَ الَّذي هَدَيْتَ، أَنْتَ الَّذي عَصَمْتَ، أَنْتَ الَّذي سَتَرْتَ، أَنْتَ الَّذي غَفَرْتَ، أَنْتَ الَّذي أَقَلْتَ، أَنْتَ الَّذي مَكَّنْتَ، أَنْتَ الَّذي أَعْزَزْتَ، أَنْتَ الَّذي أَعَنْتَ، أَنْتَ الَّذي عَضَدْتَ، أَنْتَ الَّذي أَيَّدْتَ، أَنْتَ الَّذي نَصَرْتَ، أَنْتَ الَّذي شَفَيْتَ، أَنْتَ الَّذي عافَيْتَ، أَنْتَ الَّذي أَكْرَمْتَ، تَبارَكْتَ وَتَعالَيْتَ، فَلَكَ الْحَمْدُ دائِماً، وَلَكَ الشُّكْرُ واصِباً أَبَداً."

ثم شرع بذكر أوصاف الله وفيوضاته على خلقه (**المُنعم المُحسن المُجمل وهو المُتلطف بالإعطاء ومكثر النعم والمُفضل والرازق والمُعطي والمُغني والكافي والناصر والعاضد والمُؤيّد والمُكرم المُعافي والمُتعاظم**) فلك الحمد والشكر واصباً (دائماً) أبداً.

وقوله (ع):

"ثُمّ أَنَا يا إِلهَي الْمُعَتَرِفُ بِذُنُوبي فَاغْفِرْها لي، أَنَا الَّذي أَسَـأتُ، أَنَا الَّذي أَخْطَأتُ، أَنَا الَّذي غَفِلْتُ، أَنَا الَّذي هَمَمْتُ، أَنَا الَّذي جَهِلْتُ، أَنَا الَّذي سَهَوْتُ، أَنَا الَّذِي اعْتَمَدْتُ، أَنَا الَّذي تَعَمَّدْتُ، أَنَا الَّذي وَعَدْتُ، وَأَنَـا الَّذي أَخْلَفْتُ، أَنَـا الَّذي نَكَثْتُ، أَنَـا الَّذي أَقْرَرْتُ، أَنَا الَّذِي اعْتَرَفْتُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَعِنْدي، وَأَبُوءُ بِذُنُوبي فَاغْفِرْها لي، يا مَنْ لا تَضُـــرُّهُ ذُنُوبُ عِبادِهِ، وهُوَ الَغَنِيُ عَنْ طاعَتِهِمْ، وَالْمُوَفِّقُ مَنْ عَمِلَ صـــالِحاً مِنْهُمْ بِمَعُونَتِهِ وَرَحْمَتِه، فَلَكَ الْحَمْدُ إِلهي وَسيِّدي."

ثم ســـأل الله تعالى الغفران والحطة من الذنوب، مع الإعتراف بالإســـاءة والخطأ، والهمّ بالذنب والجهل والغفلة والســـهو والإعتماد على النفس وأنه المتعمّد للذنوب والمُخلف لوعده مع الله تعالى والناكث للعهد والمقر بالخطأ والذي باء بذنبه أي أنعم عليه الله تعالى ورجِع عليه بالذنوب، فسأله بعد سلسلة الإعتراف بغفران الذنب وقبول التوبة والصـــفح عمّا اقترف، وأن ذنوب عباده لا تضرّه ولا طاعتهم تُغنيه وهو الذي يوفق للعمل الصالح من يرِد منهم بمنّه وتلطّفه.

أقول موضــــحاً: هذه الألفاظ الزاجرة للنفس والقلب ما هي إلا تدريباتٌ من المعصـــــوم (ع) على طريقة مُخاطبة الخالق جل وعلا باللســـان الذي يحبّه تعالى وهو لســـان الإعتراف والتذلّل والخضـــوع، وهي الطريقة الفُضـــلى حيث يُلقي العبد بكُلّه في محرابِ ســـجوده أمام عطف ورحمة ربّه ليفوز برضـــاه، أما الحديث عن الذنب والهمّ به والخطيئة والنكث والخُلف بالوعد فلا تجوز في حق المعصوم (ع) فافهم ذلك رعاك الله..

وقوله (ع):

"فَلَكَ الْحَمْدُ إِلهي وَســـيِّدي إِلهي أَمَرْتَني فَعَصَـــيْتُكَ، وَنَهَيْتَني فَارْتَكَبْتُ نَهْيَكَ، فَأَصْـــبَحْتُ لا ذا بَراءَة لي فَأَعْتَذِرُ، وَلا ذا قُوَّة فَأَنْتَصِرُ، فَبِأَيِّ شَيء أَسْتَقْبِلُكَ يا مَوْلايَ، أَبِسَمْعي، أَمْ بِبَصَري، أَمْ بِلِســـاني، أَمْ بِرِجْلي؟ أَلَيْسَ كُلُّها نِعَمَكَ عِندي، وَبِكُلِّها عَصَيْتُكَ! يا مَوْلاي، فَلَكَ الْحُجَّةُ وَالسَّبيلُ عَلَيَّ."

ثم يخاطب ربّه جل وعلا، فلك الحمد إلهي وســـيدي على طول أناتك وصـــبرك على عبادك فقد أمرتني وعصـــيتك، ونهيتني فارتكبت نهيك، فأصـــبحت لا ذا براءة فأعتذر لأني المرتكب عمداً، ولا ذا قوة فأنتصـــر من عقوبتك، وبأي شـــيء أســـتقيلك (أستعفيك) وأطلب العفو منك أبلساني أم ببصري أم سمعي أم يديّ وكلها نعمك ومننك؟؟ وهذا عظيم الخضـــوع والتذلّل في المسألة ...

قوله (ع):

"يـا مَنْ سَـــتَرَني مِنَ الآبـاءِ وَالأُمَّهـاتِ أَنْ يَزجُرُوني، وَمِنَ الْعَشـائِرِ وَالإِخْوانِ أَنْ يُعَيِّرُوني، وَمِنَ السَّـلاطينِ أَنْ يُعاقِبُوني، وَلَوِ اطَّلَعُوا يا مَوْلايَ عَلى مَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنّي إذاً ما أَنْظَرُوني، وَلَرَفَضُـوني وَقَطَعُوني، فَها أَنَا ذا يا إِلهي بَيْنَ يَدَيْكَ يا سَـيِّدي، خاضِعاً ذَليلاً حقيراً، لا ذُو بَراءَة فَأَعْتَذِرَ، وَلا ذُو قُوَّة فَأَنْتَصِـرُ، وَلا حُجَّة فَأَحْتَجُّ بِها، وَلا قائِلٌ لَمْ أَجْتَرِحْ، وَلَمْ أَعْمَلْ سُوءاً، وَما عَسَـــى الْجُحُودُ وَلَوْ جَحَدْتُ يا مَوْلايَ يَنْفَعُني، كَيْفَ وَأَنّى ذلِكَ وَجَوارِحي كُلُّها شـــاهِدَةٌ عَلَيَّ بِما قَدْ عَمِلْتُ، وَعَلِمْتُ يَقيناً غَيْرَ ذي شَكٍّ أَنَّكَ سائِلي عِنْ عَظائِمِ الأُمُورِ، وَأَنَّكَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ الَّذي لا يَجُورُ، وَعَدْلُكَ مُهْلِكي، وَمِنْ كُلِّ عَدْلِكَ مَهْرَبي، فَإِنْ تُعَذِّبْني يـا إِلهي فَبِـذُنُوبي بَعْدَ حُجَّتِـكَ عَلَيَّ، وَإِنْ تَعْفُ عَنّي فَبِحِلْمِـكَ وَجُودِكَ وَكَرَمِكَ."

وفي إكمال منه (ع) لتعدادِ أوضَـحِ النّعم، وهي التي لا تحصـى ولا تُحصـر، والتي عدّ منها محبةَ الأهل والكرامةَ في العشـيرة والإخوان (إذ إنّه توجد نماذج مع رفعتها لكنّها منبوذة ومنقوصة في مجتمعاتها) والحفظَ من السلطان الظالم الفاسدِ، بل جعله أبيّاً

مُهاباً سيّداً مستوراً بنعمة الله من الفضيحة والذنوب التي إن علم بها الناس واطّلعوا عليها لعيّروه ورفضوه وقطعوه.

فها أنا ذا يا الهي بين يديك : اعترافٌ بالعجز وعدم القدرة، وأنه لا مناص للخروج من سلطانه تعالى، وأنه ليس له عذرٌ فيعتذر ولا قوة لينتصـــر، ولا حجةَ يُفلح بها ولا يقدر على الإنكار بعد أن جَحد البينات المحيطة به، وجوارحُه تشهد بسوء ما اقترف، وهو يعلم أنه مسـؤول عمّا اقترف، ويزيد في ثناء الله تعالى أنه الحَكم الذي لا يجور، وأن عدلَه مُهلكُ المقصّـــرين و مهلكُ كل من ينصِبه الله للحساب، بل يصرّح أنه من عدل الله هارب، لأنه لا ينجو بميزان العدالة لفداحة تقصيره وغرَقه في أوحال الذنوب لكنّه ينجو بميزان الرجاء والرحمة (هذه مقاييس العبد العاديّ لا المعصوم عليه السلام) فإن يعذّبه فلإستحقاقه ذلك، وإن يعفُ فمن حِلمه وجوده لا استحقاقاً للعبد بل تفضلاً من ربه جل وعلا.

وقوله (ع):

"لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمينَ، لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنّي كُنْتُ مِنَ الْمُسْتَغْفِرينَ، لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنّي كُنْتُ مِنَ الْمُوَحِّدينَ، لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنّي كُنْتُ مِنَ الْوَجِلينَ، لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنّي كُنْتُ مِنَ الَّراجينَ الرّاغِبينَ، لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنّي كُنْتُ مِنَ السَّائِلين، لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنّي كُنْتُ مِنَ الْمُهَلِّلينَ الْمُسَبِّحينَ، لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ رَبّي وَرَبُّ آبائِي الأَوَّلينَ."

ثم شرع بالتهليل والتقديس والاعتراف بظُلم نفسه، والوقوع بالذنب وأفاد (ع) مبيّناً طريق الرجوع إلى الله تعالى وأول طريق المغفرة وهو الإستغفار فعن أمير المؤمنين علي (ع) قوله : **أفضل التوسل الإستغفار** [13]، والإقرار بالعبودية والتوحيد والخلوص من أشراك الشرك، ثم الخوف والوجَل من العقاب، ورجاء المغفرة والرغبة في القرب من الله بالعبادة وسؤالِ المغفرة والتكبير والتسبيح .

[13]. عيون الحكم والمواعظ ص 111

ثم قوله (ع):

"أَللّهُمَّ هذا ثَنائي عَلَيْكَ مُمَجّداً، وَإِخْلاصي لِذِكْرِكَ مُوَحِّداً، وَإِقْراري بِآلائكَ مَعَدِّداً، وَإِنْ كُنْتُ مُقِرّاً أَنّي لَمْ أُحْصِها لِكَثْرَتِها وَسُبوغِها، وَتَظاهُرِها وَتَقادُمِها إِلى حادِث، ما لَمْ تَزَلْ تَتَغَمَّدُني بِهِ مَعَها مُنْذُ خَلَقْتَني وَبَرَأتَني مِنْ أَوَّلِ الْعُمْرِ، مِنَ الإِغْناءِ مِنَ الْفَقْرِ، وَكَشْفِ الضُّرِّ، وَتَسْبِيبِ الْيُسْرِ، وَدَفْعِ الْعُسْرِ، وَتَفريجِ الْكَرْبِ، وَالْعافِيَةِ فِي الْبَدَنِ، وَالسَّلامَةِ فِي الدّينِ، وَلَوْ رَفَدَني عَلى قَدْرِ ذِكْرِ نِعْمَتِكَ جَميعُ الْعالَمينَ مِنَ الأَوَّلينَ وَالآخِرينَ، ما قَدِرْتُ وَلا هُمْ عَلى ذلِكَ، تَقَدَّسْتَ وَتَعالَيْتَ مِنْ رَبٍّ كَريم، عَظيم رَحيم، لا تُحْصى آلاؤُكَ، وَلا يُبْلَغُ ثَناؤُكَ، وَلا تُكافئ نَعْماؤُكَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّد، وَأَتْمِمْ عَلَيْنا نِعَمَكَ، وَأَسْعِدْنا بِطاعَتِكَ، سُبْحانَكَ لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ."

ثم يُكمل ويُكرر ويؤكّد النعم ما ظهر منها وما بطن، لأن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ولقد حاول (ع) إحصاء النعم مكرّراً الصفاتِ والمنحَ العظيمة التي يَذهلُ من كثرتها وسبوغها وإتّساعها وتقادمها (طول زمانها) من الأزل إلى الأبد، وما زال يتغمّده بها منذ الخِلقة الأولى وأول العمر، ومنها

الإغناء من الفقر، وكشف الضّر، وتسبيب اليُسر، ودفع العسر، وتفريج الكرب، والعافية في البدن، والسلامة في الدين بحيث لو ســـاعده كل العالمين من الأوّلين والآخرين على ذِكر النّعم لم يقدروا على ذلك، تقدّس وتعالى من ربّ كريم عظيم رحيم، لا تُحصـــى آلاؤه ولا يُبلغ ثناؤه ولا يُكافئُ بعملٍ، وختم بالصـــلاة على محمد وآله بأفضـل العبادة وأفضـلِ الذكرِ وأفضـل الصّـدقة وهي الصلاة على النبي وآله .

ثم قوله (ع) إلى نهاية الدعاء الشريف:

"أَللَّهُمَّ إِنَّكَ تُجيبُ دعوة الْمُضْـطَرِّ إذا دعاك، وَتَكْشِـفُ السُّـوءَ، وَتُغيـثُ الْمَكْرُوبَ، وَتَشْـــفِي السَّـــقيمَ، وَتُغْنِي الْفَقيرَ، وَتَجْبُرُ الْكَسيرَ، وَتَرْحَمُ الصَّغيرَ، وَتُعينُ الْكَبيرَ، وَلَيْسَ دُونَكَ ظَهيرٌ، وَلا فَوْقَكَ قَديرٌ، وَأَنْتَ الْعَلِيُّ الْكَبيرُ، يا مُطْلِقَ الْمُكَبَّلِ الأَســـيرِ، يا رازِقَ الطِّفْلِ الصَّـغيرِ، يا عِصْـمَةَ الْخائِفِ الْمُسْـتَجيرِ، يا مَنْ لا شَـريكَ لَهُ وَلا وَزير، صَـلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَأَعْطِني في هذِهِ الْعَشِيَّةِ، أَفْضَلَ ما أَعْطَيْتَ وَأَنَلْتَ أَحَداً مِنْ عِبادِكَ، مِنْ نِعْمَةٍ تُوليها، وَآلاءٍ تُجَدِّدُها، وَبَلِيَّةٍ تَصْرِفُها، وَكُرْبَةٍ تَكْشِفُها، وَدَعْوَةٍ

تَسْـمَعُها، وَحَسَـنَـةٍ تَتَقَبَّلُها، وَسَـيِّئَـةٍ تَتَغَمَّدُها، إِنَّكَ لَطيفٌ خَبيرٌ، وَعَلى كُلِّ شَيء قَديرٌ.

أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَقْرَبُ مَنْ دُعِيَ، وَأَسْـرَعُ مَنْ أَجابَ، وَأَكْرَمُ مَنْ عَفى، وَأَوْسَعُ مَنْ أَعْطى، وَأَسْمَعُ مَنْ سُئِلَ، يا رَحمنَ الدُّنْيا والآخِرَةِ وَرحيمَهُما، لَيْسَ كَمِثْلِكَ مَسْـؤولٌ، وَلا سِـواكَ مَأمُولٌ، دَعَوْتُكَ فَاَجَبْتَني، وَسَـأَلْتُكَ فَأَعْطَيْتَني، وَرَغِبْتُ إِلَيْكَ فَرَحِمْتَني، وَوَثِقْتُ بِكَ فَنَجَّيْتَني، وَفَزِعْتُ إِلَيْكَ فَكَفَيْتَني.

أَللَّهُمَّ فَصَـلِّ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُـولِكَ، وَعَلى آلِهِ الطَّيِّبينَ الطّاهِرينَ أَجْمَعينَ، وَتَمِّمْ لَنا نَعْماءَكَ، وَهَنِّئْنا عَطاءَكَ، وَاكْتُبْنا لَكَ شاكِرينَ، وَلآلائِكَ ذاكِرينَ، آمينَ آمينَ رَبَّ الْعالَمينَ.

أَللّهُمَّ يا مَنْ مَلَكَ فَقَدَرَ، وَقَدَرَ فَقَهَرَ، وَعُصِـيَ فَسَـتَرَ، وَاسْـتُغْفِرَ فَغَفَرَ، يا غـايَـةَ الرّاغِبينَ، وَمُنْتَهى أَمَلِ الرّاجينَ، يـا مَنْ أَحـاطَ بِكُلِّ شَـيءٍ عِلْماً، وَوَسِـعَ الْمُسْـتَقيلينَ رَأفَةً وَحِلْماً، أَللّهُمَّ إِنّا نَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ في هذِهِ الْعَشِيَّة الَّتي شَرَّفْتَها وَعَظَّمْتَها بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ وَرَسُـولِكَ، وَخِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَأَمينِكَ عَلى وَحْيِكَ، أللهُّم صَـلِّ عَلَى الْبَشـيرِ النَّذيرِ، السِّـراجِ الْمُنيرِ، الَّذي أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَى الْمُسْلِمينَ، وَجَعَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعالَمينَ، أَللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ

مُحَمَّد، كَمَا مُحَمَّدٌ أَهْلٌ لِذلِكَ مِنْكَ يا عَظيمُ، فَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلى آلِ محمدٍ الْمُنْتَجَبينَ الطَّيِّبينَ الطّاهِرينَ أَجْمَعينَ، وَتَغَمَّدْنا بِعَفْوِكَ عَنّا، فَإلَيْكَ عَجَّتِ الأَصْواتُ بِصُنُوفِ اللُّغاتِ، واجْعَلْ لَنا اَللّهُمَّ في هذِهِ الْعَشِيَّةِ نَصيباً مِنْ كُلِّ خَيْر تَقْسِمُهُ، وَنُورٍ تَهْدي بِهِ، وَرَحْمَةٍ تَنْشُرُها، وَعافِيَةٍ تُجَلِّلُها، وَبَرَكَةٍ تُنْزِلُها، وَرِزْقٍ تَبْسُطُهُ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ.

أَللَّهُمَّ اقْلِبْنا في هذَا الْوَقْتِ مُنْجِحينَ مُفْلِحينَ مَبْرُورينَ غانِمينَ، وَلا تَجْعَلْنا مِنَ الْقانِطينَ، وَلا تُخْلِنا مِنْ رَحْمَتِك، وَلا تَحْرِمْنا ما نُؤَمِّلُهُ مِنْ فَضْلِكَ، وَلا تَجْعَلْنا مِنْ رَحْمَتِكَ مَحْرُومينَ، وَلا لِفَضْلِ ما نُؤَمِّلُهُ مِنْ عَطاياكَ قانِطينَ، وَلا مِنْ بابِكَ مَطْرُودينَ، يا أَجْوَدَ الأَجْوَدينَ، وَأَكْرَمَ الأَكْرَمينَ، إلَيْكَ أَقْبَلْنا مُوقِنينَ، وَلِبَيْتِكَ الْحَرامِ آمّينَ قاصِدينَ، فَأَعِنّا عَلى مَنسكِنا، وَأَكْمِلْ لَنا حَجَّنا، وَأعْفُ اللهُمَّ عَنّا وَعافِنا، فَقَدْ مَدَدْنا إلَيْكَ أَيْدِيَنا فَهِيَ بِذِلَّةِ الإِعْتِرافِ مَوْسُومَةٌ.

أَللَّهُمَّ فَأَعْطِنا في هذِهِ الْعَشِيَّةِ ما سَأَلْناكَ، وَاكْفِنا مَا اسْتَكْفَيْناكَ، فَلا كافِيَ لَنا سِواكَ، وَلا رَبَّ لَنَا غَيْرُكَ، نافِذٌ فينا حُكْمُكَ، مُحيطٌ بِنا عِلْمُكَ، عَدْلٌ فينا قَضاؤُكَ، اِقْضِ لَنَا الْخَيْرَ، وَاجْعَلْنا مِنْ أَهْلِ

الْخَيْرِ، أَللَّهُمَّ أَوْجِبْ لَنا بِجُودِكَ عَظيمَ الأَجْرِ، وَكَريمَ الذُّخْرِ، وَدَوامَ الْيُسْرِ، وَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا أَجْمَعينَ، وَلا تُهْلِكْنا مَعَ الْهالِكينَ، وَلا تَصْرِفْ عَنّا رَأفَتَكَ وَرَحْمَتَك، يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ.

أَللّهُمَّ اجْعَلْنا في هذَا الْوَقْتِ مِمَّنْ سَأَلَكَ فَأَعْطَيْتَهُ، وَشَكَرَكَ فَزِدْتَهُ، وَتابَ إِلَيْكَ فَقَبِلْتَهُ، وَتَنَصَّلَ إِلَيْكَ مِنْ ذُنُوبِهِ كُلِّها فَغَفَرْتَها لَهُ، يا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرامِ. أَللّهُمَّ وفِّقْنَا، وَسَدِّدْنا، واعْصِمْنا، واقْبَلْ تَضَرُّعَنا، يا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ، وَيا أَرْحَمَ مَنِ اسْتُرْحِمَ، يا مَنْ لا يَخْفى عَلَيْهِ إِغْماضُ الْجُفُونِ، وَلا لَحْظُ الْعُيُونِ، وَلا مَا اسْتَقَرَّ فِي الْمَكْنُونِ، وَلا مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مُضْمَراتُ الْقُلُوبِ، أَلا كُلُّ ذلِكَ قَدْ أَحْصاهُ عِلْمُكَ، وَوَسِعَهُ حِلْمُكَ، سُبْحانَكَ وَتَعالَيْتَ عَمّا يَقُولُ الظّالِمُونَ عُلُوّاً كَبيراً، تُسَبِّحُ لَكَ السَّماواتُ السَّبْعُ، وَالأَرْضُ وَمَا فيهِنَّ، وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَالْمَجْدُ، وَعُلُوُّ الْجَدِّ، يا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرامِ، وَالْفَضْلِ وَالإِنْعامِ، وَالأَيادِي الْجِسامِ، وَأَنْتَ الْجَوادُ الْكَريمُ، الرَّؤُوفُ الرَّحيمُ.

أَللَّهُمَّ أَوْسِعْ عَلَيَّ مِنْ رِزْقِكَ الْحَلالِ، وَعافِني في بَدَني وَديني، وَآمِنْ خَوْفي، وَاعْتِقْ رَقَبَتي مِنَ النّارِ، أَللّهُمَّ لا تَمْكُرْ بي، وَلا تَسْتَدْرِجْني، وَلا تَخْذُلني، وَادْرَأ عَنّي شَرَّ فَسَقَةِ الْجِنِّ وَالإِنْس."

ثُمَّ رفع(ع) صـوته وبصـره إلى السـماء وعيناه قاطرتان كأنّهما مزادتان، وقال:

"يا أَسْمَعَ السّامِعينَ، يا أَبْصَرَ النّاظِرينَ، وَيا أَسْرَعَ الْحاسِبينَ، وَيـا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ، صَـــلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّد السّـــادَةِ الْمَيامينَ، وَأَسْـأَلُكَ اَللَّهُمَّ حاجَتِي الَّتي إِنْ أعْطَيْتَنِيها لَمْ يَضُـرَّني ما مَنَعْتَني، وَإِنْ مَنَعْتَنِيها لَمْ يَنْفَعْني ما أَعْطَيْتَني، أَسْـــأَلُكَ فَكَاكَ رَقَبَتي مِنَ النّارِ، لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ، وَحْدَكَ لا شَـريكَ لَكَ، لَكَ الْمُلْكُ، وَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنْتَ عَلى كُلِّ شَيء قَديرٌ، يا رَبُّ يا رَبُّ يا رَبٌّ."

إكمال في تِعداد بعض المنح والعطايا، من إجابة المضـّــطر إلى كشـف السـوء وإغاثة المكروب، وشـفاء السـقيم، وإغناء الفقير، وجبر الكسـير سـواءً مادياً أو معنوياً، والرحمة للصـغير، وإعانة الكبير حيث لا ظهير أظهرُ منه والظهير هو النصير القوي، ولا قادر أقدرَ منه، وهو العليّ الكبير، ومطلق الأســير مع ما ينتابُه من يأسٍ من التحرير والإنقاذ، ومؤنســه ومسـلّيه، ورازق الطفل الصـــغير الذي لا يفقَه ولا يقدر على تحصــيل قوته، وعاصـــم الخائف المســـتجير به من المخاوف، وهو المتفرّد بالربوبيّة بلا شريك ولا وزير يُعينه في إصدار الأحكام وهو غنيّ عن ذلك .

ثم ذكر الصلاة على النبي واله وسأله أن يعطيَه في عشيّة العيد أفضل ما يعطي لأحدٍ من عباده من النِّعم والآلاء، وما يصرفُ من البلاوي والكربات، وسأله أن يسمع الدعوات، ويقبل الحسنات ويغفر السيئات فهو اللطيف الخبير، وهو أقرب من دُعي وأسرع من أجاب وهو صاحب العفو الكبير والإعطاء الواسع، وهو من يسمعُ السائلين، وهو رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، ليس كمثله مسؤول، ولا مأمول سواه، مُجيب الدعاء، ومعطي المسألة، وراحم من يرغب إليه، ومُنجي من وثق به، وكافي من فزع إليه ...

وسأله بعد هذا التهجّد العظيم الفَكاك من النار، وإعطاء الحاجة، وبلوغ المنية الملحّة والصلاة على خير خلق الله محمد وآله الميامين.

وفي ختام شرح هذا الدعاء الشريف، لا يسع القلب إلا أن يخشع أمام هذه الكلمات النورانية التي حملت في طيّاتها أعظم معاني التوحيد والعبودية والخضـــوع لرب العالمين. لقد رســـم الإمام (عليه الســـلام) من خلال دعائه نهجًا في معرفة الله، والتوســـل إليه، والاعتراف بالذنب، والرجوع إليه برحابة القلب وصـــدق النية. فكل فقرة من هذا الدعاء تنبض بحياة الروح، وتفتح أبواب التأمل العميق في عظمة الخالق وفضلِه. وهو دعاءٌ ليس كغيره، بل مدرســـة متكاملة في التربية الإيمانية والتزكية الروحية. من تأمله بصـــدق، شـــعر بالقرب الحقيقي من الله، ولامس نور المعرفة والإخلاص. نســـأل الله أن يجعلنا من المتدبرين لهذا الدعاء، العاملين به، المتخلقين بأخلاق الحسـين، السـائرين على نهجه، وأن يختم لنا بخير، ويجعلنا من أهل عرفات القلوب، لا عرفات الأرض فقط.

والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الميامين